

تَعْظِيمُ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ
وَاحْتِرَامُ أَهْلِهِ

تَأَلَّفُ

أَبِي يَحْيَى
مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

(١٤٤٧هـ - ٢٠٢٦م)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ تَعَالَى فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا
هَادِيَ لَهُ.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده
ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢)
(آل عمران).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١)
(النساء).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠) ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١) ﴿الأحزاب .
وبعد.. فإن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ،
وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم أما بعد ..

فإن شرف العلم وفضله، ووجوب تقديم أهل العلم على من سواهم لا ينكره أيُّ من عقلاء بني آدم، حتى شُرِّفَ الكلب المعلم على الغير معلم فحلَّ صيد المعلم من الكلاب دون صيد الغير المعلم.

ولأجل أن لا ينكر هذا منكر فلا نطيل في تكرير ما هو مقرَّر معروف. وأشرف تلك العلوم على الإطلاق، العلم الشرعي، علم الكتاب والسنة، العلم الموروث عن النبي ﷺ من كتاب الله تعالى وسنته عليه الصلاة والسلام، وما يخدم بيان ذلك وتقريره وأثره، ذلك الموروث عن خير القرون بإطلاق وهم السلف ~~هههه~~، وهم خير الناس بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بنص كلام النبي ﷺ حيث سُئِلَ عليه الصلاة والسلام: أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ فَقَالَ: «أَنَا، وَالَّذِينَ مَعِيَ، ثُمَّ الَّذِينَ عَلَى الْأَثَرِ، ثُمَّ الَّذِينَ عَلَى الْأَثَرِ»^(١).

وقد تواترت النصوص في تقرير هذا، وسُطَّرت في ذلك مدونات مختصة بالترغيب في حمل العلم.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (١١) المجادلة: ١١

(١) أخرجه أحمد برقم (٨٤٨٣) بسند لا بأس به.

وقال سبحانه: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١٨) آل عمران.

وهم الذين يؤذن لهم بالكلام في الآخرة فيقولون: ﴿قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالْسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٢٧) النحل: ٢٧

ومن سنة أبي القاسم قوله ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»^(١).
وفي الصحيح^(٢) قام معاوية رضي الله عنه خطيباً فقال سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ».

فمن أراد الله به خيراً ففقهه في الدين، لا سيما والنَّاسُ إِلَى الْعِلْمِ أَحْوَجُ مِنْهُمْ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، لِأَنَّ الرَّجُلَ يَخْتَّاجُ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فِي الْيَوْمِ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ. وَحَاجَّتُهُ إِلَى الْعِلْمِ بَعْدَ أَنْفَاسِهِ^(٣).
وقال أبو مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيُّ: مَثَلُ الْعُلَمَاءِ فِي الْأَرْضِ كَمَثَلِ النُّجُومِ فِي

(١) أخرجه البخاري (٥٠٢٧).

(٢) برقم (٧١) ومسلم (١٠٣٧).

(٣) كما أثر هذا عن الإمام أحمد رحمه الله حكاه ابن القيم في «المدارج» (٢/ ٤٤٠) وأخرج نحوه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٦٥) بسنده عن سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ قال: «الرَّجُلُ إِلَى الْعِلْمِ أَحْوَجُ مِنْهُ إِلَى الْخُبْزِ وَاللَّحْمِ».

السَّاءِ، إِذَا ظَهَرَتْ لَهُمْ شَاهِدُوا، وَإِذَا غَابَتْ عَنْهُمْ تَاهُوا^(١).

وهذا مع شرف العلم وشرف أصحابه لا يماري فيه أحد ممن له أدنى مسحة من علم بدين الإسلام.

ومع اهتمام بعض الشباب بالتعلُّم وإقبال من الكثير على حمل العلم الشرعي قد رأينا كثيرًا منهم لم يتأدَّبوا بآدابه ولا يتخلَّق بخلق حملته، ولا يعظِّمه التعظيم اللائق به، سواء مع العلماء المعلمين له، أو مع أقرانهم طلبته، أو مع ذات العلم الذي حملوه.

مع أن هذا العلم ذاته فيه ما يؤكِّد على ضرورة تعظيمه واحترام حملته، والتأدُّب بآدابه، وللأخلاق الحسنة ومكارم الآداب في ديننا منزلةٌ سَنِيَّةٌ سَامِقَةٌ.

وإلا فمتى خلا العلم الشرعيُّ من هذا فهو علمٌ لا يَنفَع صاحبه وإن كان هذا العلم في ذات علمًا نافعًا، ولربما رأيتُه كحامل فقه لمن هو أفقه منه، أو كالسراج الذي يُضيءُ لِلنَّاسِ وَيَحْرِقُ نَفْسَهُ، نسأل الله العافية، وقد

(١) إسناده حسن عنه . أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥ / ١٢٠) من طريق محمد بن أحمد

الجرجرائي، ثنا أحمد بن موسى العدوي، ثنا إسماعيل بن سعيد الكسائي، ثنا عيسى بن خالد، عن شريك، عن آدم بن علي، عن الحسن، عن أبي مسلم الخولاني به.

أمر السلف بهه زويهم:

* وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: «نَحْنُ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الْأَدَبِ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَى قَلِيلٍ مِنَ الْعِلْمِ»^(١).

* وقال إبراهيم بن حبيب بن الشهيد، قال: قال لي أبي: «يا بُنَيَّ، إيتِ الفقهاءَ والعلماءَ، وتعلَّمْ مِنْهُمْ، وخُذْ مِنْ أَدَبِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ وَهَدْيِهِمْ، فَإِنَّ ذَاكَ أَحَبُّ إِلَيَّ لَكَ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْحَدِيثِ»^(٢).

* وأخرج الجوهري في «مسند الموطأ»^(٣) بسنده عن ابن أبي أُويس،

(١) أخرجه ابن الأعرابي في «المعجم» (٢٤٥١) والخطيب في «الجامع» (١ / ٢٠١) قال ابن الأعرابي سمعتُ يُوُسُفَ أَبَا يَعْقُوبَ المُرُوزِيَّ، صَاحِبَنَا، نا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خُبَيْقٍ، نا عَلِيُّ قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بِهِ.

(٢) أخرجه الخطيب في «الجامع» (١ / ٨٠) أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَحْيَى السُّكْرِيُّ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الشَّافِعِيُّ، نا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْأَزْهَرِ، نا ابْنُ الْعَلَاءِ، نا أَبِي، نا إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَبِيبِ بْنِ الشَّهِيدِ، قَالَ: قَالَ لِي أَبِي:

(٣) برقم (٣٣٠) أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ شُعْبَانَ، قَالَ: أَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَرْوَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَهْلَوَيْهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي أُوَيْسٍ، قَالَ: سَمِعْتُ خَالِي مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ فذكره.

قَالَ: سَمِعْتُ خَالِي مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ، يَقُولُ: «كَانَتْ أُمِّي تُلبِسُنِي الثَّيَابَ، وَتُعَمِّمُنِي وَأَنَا صَبِيٌّ، وَتُوجِّهُنِي إِلَى رِبِيعَةَ بْنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَتَقُولُ لِي: تَأْتِي أَنْتَ مَجْلِسَ رِبِيعَةَ، فَتَعَلَّمْ مِنْ سَمْتِهِ وَأَدَبِهِ قَبْلَ أَنْ تَتَعَلَّمَ مِنْ حَدِيثِهِ وَفَهْمِهِ».

❖ وفي رواية عنه قال: كانت أُمِّي تُعَمِّمُنِي وتقول لي: اذهب إلى ربيعة فتعلَّمْ من أدبه قبل علمه ^(١).

❖ وأخرج أبو نعيم بسندٍ جيد عن خَالِدِ ابْنِ نِزَارٍ قَالَ: سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ، يَقُولُ لِفَتَى مِنْ فُرَيْشٍ: يَا ابْنَ أَخِي تَعَلَّمَ الْأَدَبَ قَبْلَ أَنْ تَتَعَلَّمَ الْعِلْمَ ^(٢).

❖ وقال الدارمي: سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ يَحْيَى يَقُولُ: قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: «طَلَبْنَا الْعِلْمَ فَأَصَبْنَا مِنْهُ شَيْئًا، فَطَلَبْنَا الْأَدَبَ فَإِذَا أَهْلُهُ قَدْ مَاتُوا» ^(٣).

(١) حكان القاضي عياض في «ترتيب المدارك وتقريب المسالك» (١/ ١٣٠).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٣٠) وعبد الغني الأزدني في «الفوائد» (١٤) وابن

المظفر أبو الحسين البزار في «غرائب حديث الإمام مالك» (٤٨).

(٣) أخرجه الدارمي في «نقض بشر المريسي» (٢/ ٦٥٥).

فإذا كان ابن المبارك يقول هذا عن أهل الأدب في زمانه، فما بالك

بالحال اليوم كيف يكون؟

فإلى الله المشتكى.

* وقد توجع عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ عَلَى فَوَاتِ الْأَدَبِ فَقَالَ: «طَلَبْنَا الْأَدَبَ حِينَ فَاتَنَّا الْمُؤَدَّبُونَ»^(١).

وصدق من قال:

يزين الغريب إذا ما اغترب ... ثلاث فمنهن حسن الأدب

وثانيه حسن أخلاقه ... وثالثه اجتناب الريب.

وَالْآدَابُ مَعَ اخْتِلَافِهَا بِتَنَقُّلِ الْأَحْوَالِ وَتَغْيِيرِ الْعَادَاتِ لَا يُمَكِّنُ

اسْتِيعَابُهَا، وَلَا يُقَدَّرُ عَلَى حَصْرِهَا، وَإِنَّمَا يَذْكُرُ كُلُّ إِنْسَانٍ مَا بَلَغَهُ الْوُسْعُ مِنْ آدَابِ زَمَانِهِ، وَاسْتَحْسَنَ بِالْعُرْفِ مِنْ عَادَاتِ دَهْرِهِ^(٢).

وللأدب منزلة عظيمة في الشريعة:

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٦٩) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ مَاهَانَ، ثنا

عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَاهِرٍ، ثنا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَارِيِّ، ثنا الْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ بِهِ.

(٢) كما قال الماوردي في «أدب الدنيا والدين» ص ٣٤٧.



واحترام أهله

& فصاحب الأجرين يوم القيامة كما قال النبي ﷺ «... وَرَجُلٌ كَانَتْ عِنْدَهُ أُمَةٌ فَأَدَبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا» (١).

& ولما تزوج جابر بن عبد الله ثيباً تقوم معه على تأديب أخواته اللواتي مات عنهن أبوه عبد الله بن حرام في غزوة أحد، ورغب ﷺ عن البكر الصغيرة المناسبة لمقامه خشية أن لا تقوم معه على تأديب أخواته فقال للنبي ﷺ: «كِرِهْتُ أَنْ أَتَزَوَّجَ مِثْلَهُنَّ، فَلَا تُؤَدِّبُهُنَّ، وَلَا تَقُومَ عَلَيْهِنَّ، فَتَزَوَّجْتُ ثَيْبًا لَتَقُومَ عَلَيْهِنَّ وَتُؤَدِّبَهُنَّ..» الحديث (٢).

فالأدب أكرم الجواهر طيبة وأنفسها قيمة، يرفع الأحساب الوضيعة ، ويفيد الرغائب الجميلة، ويعز بلا عشيرة ، ويكثر الأنصار لغير ذرية ، فالبسوه حلة، وتزينوه حلية ، يؤنسكم في الوحشة، ويجمع لكم القلوب المختلفة .

وكل من أعار الوجود نظرة البصير، علم أن حاجة المرء إلى تأديب نفسه لا تفوقها حاجة ، ومنزلة الأدب عظيمة في الشريعة :

(١) كما في الصحيحين البخاري (٩٧) ، ومسلم (١٥٤) واللفظ له .

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٦٧) ومسلم (٧١٥) عقب حديث (١٥٩٩) .

* فانظر إلى الأدب مع الوالدين كيف نجّى صاحبه من حبس الغار حين أطبقت عليهم الصخرة؟^(١) كما في قصة أحد الثلاثة أصحاب الغار

* والإخلال به مع الأم- تأويلاً وإقبالاً على الصلاة- كيف امتحن صاحبه بهدم صومعته وضرب الناس له ورميه بالفاحشة؟^(٢)، ولو دعت عليه الأم أن يُفتن لفتن.

* تأمل أحوال كل شقي وسفيه ومغترّ ومُدبِر؛ كيف تجد أن قِلَّة الأدب هي التي ساقط هذا المحروم إلى خسارته هذا، نسأل الله العافية.

وأخرج مسلم^(٣) عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَتَلَ رَجُلٌ مِنْ حِمِيرٍ رَجُلًا مِنَ الْعَدُوِّ، فَأَرَادَ سَلْبَهُ، فَمَنَعَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَكَانَ وَالِيًا عَلَيْهِمْ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لِحَالِدٍ: «مَا مَنَعَكَ أَنْ تُعْطِيَهُ سَلْبَهُ؟» قَالَ: اسْتَكْرَهْتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «ادْفَعْهُ إِلَيْهِ»، فَمَرَّ خَالِدٌ بِعَوْفٍ، فَجَرَّ بِرِدَائِهِ، ثُمَّ قَالَ:

(١) كما في « الصحيحين » في قصة أصحاب الغار .

(٢) كما في قصة جريج العابد التي أخرجها مسلم .

(٣) برقم (١٧٥٣).

هَلْ أَنْجَزْتُ لَكَ مَا ذَكَرْتُ لَكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَسَمِعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَعْصَبَ، فَقَالَ:

«لَا تُعْطِهِ يَا خَالِدُ، لَا تُعْطِهِ يَا خَالِدُ، هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي أَمْرًاي؟ إِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَرْعِيَ إِبِلًا، أَوْ غَنَمًا، فَرَعَاهَا، ثُمَّ تَحَيَّنَ سَقِيهَا، فَأَوْرَدَهَا حَوْضًا، فَشَرَعَتْ فِيهِ فَشَرِبَتْ صَفْوَهُ، وَتَرَكَتْ كَدْرَهُ، فَصَفْوَهُ لَكُمْ، وَكَدْرُهُ عَلَيْهِمْ».

قال ابن القيم^(١) عن تعامل عوف بن مالك مع خالد في هذا الموطن: «وَأَنْظُرْ قِلَّةَ أَدَبِ عَوْفٍ مَعَ خَالِدٍ^(٢) كَيْفَ حَرَمَهُ السَّلْبُ بَعْدَ أَنْ بَرَدَ بِيَدَيْهِ؟» فقال رسول الله ﷺ لخالد بن الوليد ؓ: «لَا تُعْطِهِ يَا خَالِدُ، لَا تُعْطِهِ يَا خَالِدُ...». ذلك لأنه خالف مسلك الأدب مع أميره^(٣).

(١) في «مدارج السالكين» (٣٦٩ / ٢)

(٢) وليت ابن القيم غير تلك اللفظة لأنها في حق صحابي لا يقابل بمثل تلك الألفاظ، بل بالاحترام والإجلال ﷺ.

(٣) قال السيوطي في «الديباج» (٤ / ٤٥٧): أخذه ﷺ تعزيرًا لعوف بن مالك لكونه أطلق لسانه في خالد بن الوليد، وانتهك حرمة الوالي ومن ولّاه.

وهو نحو كلام النووي في «شرح مسلم» (٦ / ٣٠٩)

* وانظر أدب الصديق ﷺ مع الرسول ﷺ في الصلاة؛ رفض أن يتقدم بين يديه فقال : ما كان ينبغي لابن أبي قحافة أن يتقدم بين يدي رسول الله ﷺ (١)، كيف أورثه مقامه الإمامة بالأمّة بعده ﷺ ؟

فكان ذلك التأخر إلى خلفه - وقد أوماً إليه ﷺ أن اثبت مكانك - جزءاً وسعيّاً إلى قُدّام بكل خطوة إلى وراء مراحل إلى قُدّام تنقطع أعناق المطى (٢).

* وانظر إلى أدب ابن عباس رضي الله عنهما عن أن يكون بحذاء الرسول ﷺ ، وقال له : أوينبغي لأحد أن يصلي حذاءك وأنت رسول الله ؟! فدعا له أن يزيده علماً وفهماً .

ففي مسند أحمد (٣) بإسنادٍ صحيحٍ عن كريب أنّ ابنَ عَبَّاسٍ، قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، فَصَلَّيْتُ خَلْفَهُ، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَجَرَّنِي، فَجَعَلَنِي حِذَاءَهُ، فَلَمَّا أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى صَلَاتِهِ، خَنَسْتُ، فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ لِي: «مَا شَأْنِي أَجْعَلُكَ حِذَائِي فَتَخْنُسُ؟»،

(١) انظر : صحيح البخاري (٦٨٤) .

(٢) « مدارج السالكين » (١١٥ / ٢ ، ١١٦) .

(٣) في «المسند» (١ / ٣٣٠) .

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْيَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يُصَلِّيَ حِذَاءَكَ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ الَّذِي أَعْطَاكَ اللَّهُ؟ قَالَ: فَأَعْجَبْتُهُ، فَدَعَا اللَّهَ لِي أَنْ يَزِيدَنِي عِلْمًا وَفَهْمًا.

* وتأمل عدم مراعاة زوجة إسماعيل عليه السلام الأولى للأدب مع زوجها حال غيابه، حيث أخرجت أسرار حياتها الزوجية وأظهرت التضجر لوالد زوجها، فما صبرت، بل وشكت لوالده إبراهيم عليه السلام ولم تكن تعرف أنه والده.

* وتأمل كيف كان ذلك منها سبباً لفراق زوجها الكريم بن الكريم بن الكريم ابن الكريم، فأى خسارة بعد أن كانت زوجة النبي أبي العرب عليه الصلاة والسلام، وبعد فسوء الذكر إلى يوم القيامة.

كما أن مراعاة الزوجة الأخرى لإسماعيل عليه السلام لهذا الأدب كان سبباً في بقائها زوجة لهذا النبي الكريم بن الكريم بن الكريم عليه السلام، مع حسن الذكر في الأرض إلى يوم القيامة.

وذلك لما تزوج إسماعيل عليه السلام امرأة من جرهم، وَمَاتَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَمَا تَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ يُطَالِعُ تَرْكَتَهُ، فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ، فَسَأَلَ امْرَأَتَهُ عَنْهُ فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا، ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ نَحْنُ بِسَرٍّ، نَحْنُ فِي ضَيْقٍ وَشِدَّةٍ، فَشَكَتْ إِلَيْهِ، قَالَ: فَإِذَا

جَاءَ زَوْجُكَ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَقُولِي لَهُ يُغَيِّرُ عَتَبَةَ بَابِهِ، فَلَمَّا جَاءَ
 إِسْمَاعِيلُ كَأَنَّهُ أَنَسَ شَيْئًا، فَقَالَ: هَلْ جَاءَكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، جَاءَنَا
 شَيْخٌ كَذَا وَكَذَا، فَسَأَلْنَا عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ، وَسَأَلْنِي كَيْفَ عَيْشُنَا، فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا
 فِي جَهْدٍ وَشِدَّةٍ، قَالَ: فَهَلْ أَوْصَاكَ بِشَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ
 عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَقُولَ غَيْرُ عَتَبَةَ بَابِكَ، قَالَ: ذَلِكَ أَبِي، وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ
 أَفَارِقَكَ، الْحَقِّي بِأَهْلِكَ، فَطَلَّقْهَا، وَتَزَوَّجْ مِنْهُمْ أُخْرَى، فَلَبِثَ عَنْهُمْ
 إِبْرَاهِيمُ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَتَاهُمْ بَعْدَ فَلَمْ يَجِدْهُ، فَدَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ فَسَأَلَهَا عَنْهُ،
 فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا، قَالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ؟ وَسَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ،
 فَقَالَتْ: نَحْنُ بِخَيْرٍ وَسَعَةٍ، وَأَنْتِ عَلَى اللَّهِ، فَقَالَ: مَا طَعَامُكُمْ؟ قَالَتْ
 اللَّحْمُ، قَالَ فَمَا شَرَابُكُمْ؟ قَالَتْ الْمَاءُ. قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي اللَّحْمِ وَالْمَاءِ،
 قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ حُبٌّ، وَلَوْ كَانَ لَهُمْ دَعَا لَهُمْ فِيهِ». قَالَ:
 فَهُمَا لَا يَخْلُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ غَيْرِ مَكَّةَ إِلَّا لَمْ يُوافِقَاهُ، قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكَ
 فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَمُرِيهِ يُثَبِّتُ عَتَبَةَ بَابِهِ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ قَالَ: هَلْ
 أَتَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَتَانَا شَيْخٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ، وَأَنْتِ عَلَيْهِ، فَسَأَلَنِي
 عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا بِخَيْرٍ، قَالَ: فَأَوْصَاكَ

بَشِيءٍ، قَالَتْ: نَعَمْ، هُوَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَأْمُرُكَ أَنْ تُثَبِّتَ عَتَبَةَ بَابِكَ، قَالَ: ذَاكَ أَبِي وَأَنْتِ الْعَتَبَةُ، أَمَرَنِي أَنْ أُمْسِكَ... الحديث. (١)

*** وتأمل سوء أدب عبيد الله بن زياد قبحه الله حين لعب بقضيب في**

ثنايا الحسين بن علي عليه السلام بعد ما احتزّت رأسه ماذا كان؟

أخرج البخاري (٢) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أُنِيَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَجُعِلَ فِي طَسْتٍ، فَجَعَلَ يَنْكُتُ، وَقَالَ فِي حُسْنِهِ شَيْئًا، فَقَالَ أَنَسٌ: «كَانَ أَشْبَهُهُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ مَخْضُوبًا بِالْوَسْمَةِ.

تأمل عاقبة سوء أدبه مع ابن بنت رسول الله ﷺ الذي لم يكن على وجه الأرض ابن نبي غيره، وهو ریحانة النبي ﷺ من الدنيا!

فأخرج الترمذي (٣) بسندٍ صحيح عَنْ عُمَارَةَ بْنِ عُمَيْرٍ، قَالَ: لَمَّا جِيَءَ بِرَأْسِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ وَأَصْحَابِهِ نُضِدَتْ فِي الْمَسْجِدِ فِي الرَّحْبَةِ فَانْتَهَيْتُ

(١) أخرجه البخاري (٣٣٦٤).

(٢) برقم (٣٧٤٨).

(٣) في «السنن» (٣٧٨٠) وله طريق آخر بلفظ نحوه أخرجه الفسوي في «المعرفة» (٤٢٨ / ٣)

خرّجته في كتابي «الفوائد النيرة» برقم (١٣٤٠).

إِلَيْهِمْ وَهُمْ يَقُولُونَ: قَدْ جَاءَتْ قَدْ جَاءَتْ، فَإِذَا حَيَّةٌ قَدْ جَاءَتْ تَحُلُّ
الرُّءُوسَ حَتَّى دَخَلَتْ فِي مَنْخَرِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ فَمَكَثَتْ هُنَيْهَةً، ثُمَّ
خَرَجَتْ فَذَهَبَتْ حَتَّى تَغِيَّبَتْ. ثُمَّ قَالُوا: قَدْ جَاءَتْ، قَدْ جَاءَتْ، فَفَعَلَتْ
ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا.

***ولقد كانت النسوة يقمن به مع الأولاد الصغار يحملونهم على الأدب:**

ففي صحيح مسلم عن ابن أبي عتيق، قال: تَحَدَّثْتُ أَنَا وَالْقَاسِمُ، عِنْدَ
عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، حَدِيثًا وَكَانَ الْقَاسِمُ رَجُلًا لِحَانَةً وَكَانَ لَأُمِّ وَلَدٍ، فَقَالَتْ لَهُ
عَائِشَةُ: مَا لَكَ لَا تَحَدَّثُ كَمَا يَتَحَدَّثُ ابْنُ أَخِي هَذَا، أَمَا إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ مِنْ
أَيِّنْ أُتِيَتْ هَذَا أَدَبَتْهُ أُمُّهُ، وَأَنْتَ أَدَبْتِكِ أُمُّكَ... الحديث (١).

وهذا يدل على أن المرأة تشارك في تربية الولد والبنت .

وإن أحق الناس بمراعاة الأدب معهم واحترامهم هم أهل العلم

الشرعي، لشرف ما حَمَلُوا من هدي النبي ﷺ وهدي أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
للناس، أولئك الذين رفع الله ذكرهم درجات، وقرن شهادتهم بشهادته
مع شهادة الملائكة فقال: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو
الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١٨) آل عمران.

ومن أحق الناس بالاحترام والتقدير من حملة العلم الشرعي الذي هو ميراث الأنبياء، وهم الذين يستغفر لهم مَنْ في السموات والأرض حتى الحيتان في البحر، وقد حملوا من العلم ما يأمر بإنزال الناس منازلهم، وقد بذلوا من أوقاتهم وأعمارهم فيما ينفعهم وينفع الناس في أمور دينهم ودنياهم، ففضلهم على للخلق عظيم، يجازيهم عليه إلا الله تعالى؟

« إِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ حَتَّى الْحَيَّتَانِ فِي الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ ^(١) .

فأكرم بقوم هذا حالهم، ولله درهم، أحق الناس بعد الأنبياء والصحابة عليهم السلام بالاحترام والتقدير، نشروا المعتقد الصحيح والمنهج القويم، ونبذوا الباطل، واستعملهم الله فققذف بالحق فدمغ الباطل.

فإذا لم يُبذل الإحترام والتوقير لأهل العلم الشرعيِّ فإلى من يُبذل؟

ومن تعظيم الإسلام تعظيم علوم الإسلام، ومن يدلُّ عليها، وما يدل عليها من علوم.

(١) وهو حديث يحسن لشواهد إن شاء الله.

ومن تعظيم العلم: احترام أهله - جعلنا الله منهم - وهذا هو موضوع الكتاب «تعظيم العلم واحترام أهله»، يسر الله تعالى لنا سبيل الهدى، ونفع بكتاباتنا، ورزقنا الإخلاص في القول والعمل.

وتأتي هذه الرسالة في هذا الموضوع بإضفاء قوم من العامة والجهّال - إن أحسنّا بهم الظن - على قوم ليسوا بذاك ولا هم من العلماء، ألقوا عليهم أثواب القداسة، وقُربوا للناس على أنهم علماء وما هم إلا أهل انحراف وميل عن المنهج السلفي الخالص، فنودي باحترامهم، بل ادّعي أن احترامهم من احترام الدين، بل زعم أن مكانتهم تلك إذا زالت فلم يبق للناس علماء!!

وإلى الله نشكو الغربة، وتوسيد الأمر إلى غير أهله.

فوحيد بن عبد السلام - البالي اسمًا ووصفًا -: يمدح الصوفية الخرافيين،

والخوارج السفهاء، الهمج الثائرين على الحكام في الميادين - وقد جاء العلم الشرعي بدمّهم - ويقف بينهم يثبّتهم بألفاظ خاطب النبي ﷺ بها المجاهدين في غزوة أحد، في الوقت الذي يذمّ فيه أهل العلم القائلين بما جاءت به الأحاديث المتواترة من السمع والطاعة، والصبر على الأمر، والنصح لهم - إن كان - سرًا، ينبذهم بلقب المداخلة، ويكذب عليهم،

فَيَقُولُ عَلَيْهِمْ بَمَا لَيْسَ فِيهِمْ، فَهَلْ هَذَا يَعْظُمُ الْعِلْمُ أَوْ يُحْتَرَمُ أَهْلُهُ؟! بل رمى وحيد هذا بعض الصحابة رضي الله عنه كابن الزبير والحسين سبط رسول الله ﷺ وسليمان بن صُرد، وعدداً منهم بالخروج على أمرائهم كذا، وزعم الصحبة لبعض التابعين ممن خرجوا على الأمراء، لِيُقَوِّيَ منهجه الخارجى .. كذا بغير تحرير علمي ولا مراعاة لحرمتهم وتنزيههم عن فعلة كلاب النار^(١).

فهل وحيد هذا عظم العلم، أو حتى احترام عقول مستمعيه فحرر مسائل العلم هذه قبل إلقائها عليهم؟! وهل مثله يدخل في زمرة من يُحْتَرَمُونَ لتعظيمهم للعلم واحترام العلماء؟!

(١) ومع كذبه في ذلك بسبب عدم تحرير العلم المنسوب إليهم، فلازمه أن الصحابة خالفوا المتواتر عن نبيهم ﷺ والكبار منهم في النهي عن منازعة الأمراء، وسعيهم في فتن تروق بسببها الدماء، وطلبهم الإمارة التي نبى عنه النبي ﷺ، وجهلهم بالفتن، ونقد عهود البيعة، وخيانة أمرائهم.. إلخ.

وقد بينت أن كل تلك الدعاوى على الصحابة من الكذب الصراح في كتابي «الإلقاء القمامة في أفواه القائلين بخروج الصحابة» وهو مطبوع في مجلد، والحمد لله.

ومحمد بن حسان ماح الأشاعرة المبتدعة وجاعلهم - على مرأى
ومسمع من الدنيا - أهل سنة^(١)، والمهوّن من خطر الشيعة أعداء الصحابة
والمناهج السلفي، الزاعم أنهم والسنة عاشوا قرونًا طويلة جنبًا إلى
جنب لم يكن بينهم تصادم كذا الكذب تزويرًا لتاريخ الإسلام المجيد،
ضم هذا إلى تشجيعه الخوارج في الميادين، فهل هذا عظم العلم أو احترم
أهله، وهو يروّج عليهم ما لم يعتقدوا ليُمرّر باطله.

فأين تعظيم العلم واحترام أهله؟!

ومصطفى العدوي يهرع ويتنصب ويحلّ حَبَوته لرمي أهل العلم
المنكرين على حماس تحرّشهم بعدو غاشم لا طاقة لهم به حتى انقض
عليهم فأهلك الحرث والنسل، يرميهم بالنفاق والتخذيل ويقرأ عليهم

(١) وكان ذلك في شهادته في المحكمة في دولته جمهورية مصر العربية، فلما حوجج بعد
أراد أن يبرّئ نفسه فاستشهد بكلام شيخ الإسلام في «بيان تلبيس الجهمية» (٣/ ٥٣٨)
عن الأشاعرة: «هم يعدون من أهل السنة والجماعة عند النظر إلى مثل المعتزلة والرافضة
ونحوهم، بل هم أهل السنة والجماعة في البلاد التي يكون أهل البدع فيها المعتزلة
والرافضة ونحوهم» اهـ.

تأمل كيف جعل هذا الخائب أهل مصر كلهم معتزلة وروافض ليُمرر ما قال لئلا يُنتقد،
فنعوذ بالله من هوانه!!

آيات سورة التوبة التي نزلت في المنافقين، فهل هذا احترام أهل العلم؟
 يطعن في أهل العلم القائلين بالسمع والطاعة للأمرء والصبر على
 جورهم، والنصيحة لهم في السر - كما دلت السنة على ذلك - ويلقبهم
 بالمداخلة، ويكذب فيقول عن الذين يقولون بحديث «من كان عنده نصيحة
 لذي سلطان فلا يبد له علانية»: «إنما يقول هذا الذين يقولون بالسمع
 والطاعة المطلقين للأمرء والحكام دون تفصيل»^(١) اهـ. كذبه.

فهل هذا يحترم أهل العلم؟

وإذا ضُمَّ إليه طعنه في الأحاديث الصحيحة والحجج والبراهين
 وأقوال الأئمة في تشبيها، وفتاوية الشاذة، وكلامه المهيج على بعض ولاة
 أمور المسلمين المتمثل عقدته من الحكم، ومخالفاته للسلف في بعض
 مباحث الأسماء والصفات، ومعارضته للمسائل المنهجية^(٢) فهل الذي
 يعظم العلم، يفعل هذا؟

(١) كذا في مقطع بالصوت والصورة بعنوان «صحة حديث من كان له نصيحة».

(٢) قد صدر لي ثلاثة أقسام بعنوان «دفع الأوبئة العدوية عن المقررات السلفية» مع بيان
 حال مصطفى العدوي من المنهج السلفي بالدلائل والبيانات ومُتَصَمِّنٌ تَحْلِيلَاتٍ لِبَعْضِ
 فَتَاوِيهِ « فيها تفصيل وبيان للمأخوذ عليه فليراجع ذلك من شاء.

وأبو إسحاق الحويني: يتنقص أهل العلم المنكرين على حماس تحرّشهم

بعدو غاشم لا طاقة لهم بعشر معشار قوته، فيلمزهم بلقب المداخلة
المبتدعة^(١) ويتنقصهم. ويكفر المجتمعات بلازم قوله حيث يعتبر المصرّ على
معصية أكل الربا مستحلاً، ويمدح الخوارج والحزبيين من أمثال عبد
الرحمن بن عبد الخالق الحزبي... إلخ^(٢) وبالطبع يتنقص مناوئهم، فهل
هذا ممن يعظّم العلم أو يحترم أهله الحقيقيين؟^(٣).

ومحمد بن حسين يعقوب الزاعم أن لديه مائة دليل على تكفير حسني
مبارك رئيس مصر السابق، وقوله: إنه كان لا يصلي، وإذا صلى يصلي من

(١) مع أن له كلام قديم في ذم حماس قبل أن يرتقي في أحضان حماة الإخوان المسلمين
خوارج العصر.

(٢) وراجع ما كتبه بشأنه في كتابي «ردع المجرم عن سب المسلم» وهو مطبوع

(٣) ولما رد عليه أخونا الشيخ خالد بن عثمان أبو عبد الأعلى في كتاب «الحدود الفاصلة بين
أصول منهج السلف الصالح وأصول القطبية السرورية» في نحو من ألف ورقة، بين
فيه ما خالف الحويني فيه منهج السلف ووافق الخوارج، فإذا بالحويني يتهمّ على
الكتاب وعدد صفحاته - تلييساً على السامعين - دون أن يشير إلى ما أخذ عليه، ولا ردّ
على ما فيه

غير وضوء^(١)، مع قيامه مع الخوارج في الميادين وترويج الفتن التي راح ضحيتها آلاف من الشباب حين اتخذوه عالماً.... إلخ.
فقبَّح الله الكذب.

وبعد ذلك لما جُبْن في المحكمة زعم أنه ليس بعالم، بل إنه رجل يدعو الناس للصلاة على النبي ﷺ، هذا فقط، مع أنه كان ضمن المجلس الذي أسسوه لأنفسهم: «مجلس شورى العلماء» ليقودوا به الأمة.
ألا شأهت وجوه المتعصِّبين المزيَّنين صور هؤلاء أمام الناس ليتبعوهم ، والطاعنين في العلماء الحقيقيين الميين ضلال هؤلاء وتخاريفهم هم ومن على شاكلتهم.

ومتى كان الكذب منجاة؟!

وهذا الفصل المنحرف كله على هذا النحو!

أهؤلاء علماء؟!

فماذا هم والمتعصبون لهم قائلون لربهم غداً، ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ

(١) وما أدري من أعلم يعقوب أن حسني مبارك ريس دولته كان قد أحدث ثم قام إلى

الصلاة دون وضوء، ألا شأهات وجوه الكذابين، يا حمرة الخجل!!

والله ما احترم نفسه، ولا عقول مستمعيه فضلاً عن أن يحترم العلم أو أهله.

مُسْتَطَرٌّ ﴿٥٣﴾ القمر: ٥٣. وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ ﴿٣٦﴾ الإسراء: ٣٦.

بل كيف تكون صورتهم حينما ينشأ يستبدله الله بهم يقرأ ويفهم ويبحث عن الحجج والبراهين، ويظهر لهم أفاعيلهم النابعة من التعصب وكتمان الحق، فيلقون المتعصبين في مزبلة من مزابل التاريخ، والتاريخ لا يكذب في شهادته، بل سيذكر فيه ما للناس وما عليهم، فينتصر للحق لا للأشخاص ولو بعد حين؟

وبعد ذلك يقوم هؤلاء المتعصبة ينسبون أنفسهم إلى المنهج السلفي - وهي فتنة للناس - وأحسن أحوالهم أنهم جهلة بمنهج السلف أصلاً! أيطلق على معتنقي آراء الخوارج، أو آراء القدرية، أو الرفض، أو المعتزلة، أو التحزب وترويج الفتن والفرقة، أو من يشنون على المخالفين...، أيطلق على هؤلاء علماء؟

فأين طريقة تعامل سلف الأمة من الصحابة عليهم السلام ابن عباس وابن عمر وجندب بن عبد الله البجلي وغيرهم فمن بعدهم مع معتنقي آراء الخوارج؟

وأي طريقة تعامل سلف الأمة الصحابة عليهم السلام ابن عمر وابن عباس

وعمران بن حصين وغيرهم ومن بعدهم مع معتنقي آراء القدرية؟
أين طريقة تعامل سلف الأمة الصحابة رضي الله عنهم المغيرة بن شعبة وابن
 عمر وعائشة وغيرهم فمن بعدهم مع من ذم بعض الصحابة أو تكلم
 عليهم بما لا ينبغي؟

أين طريقة تعامل ابن عباس مع من دب إليه روائح داء المعتزلة ،
 فانفض حين سمع إثبات صفة القدم لله تعالى؟

أين طريقة سلف الأمة النبي صلى الله عليه وسلم ثم أصحابه رضي الله عنهم ابن عباس، وعمر
 ثم زيد بن صوحان فمن بعده في تعاملهم حينما رأوا بادرة التحزب
 وخافوا الفرقة والنزاع؟

أين طريقة سلف الأمة كأسيد بن حضير، وماذا قال في مجلس للنبي
صلى الله عليه وسلم حينما ثناء على مخالف،؟ وانظر سير السلف في هذا.

أما أن الترويج لدعوى اتباع السلف لتمرير الباطل ومخالفة السلف
 سارت سجيّة عند القوم لتغيير الأغمار؟ فما أخس تلك النحل.

ومن يُهن الله فما له من مكرم، وغداً سيجمع الله الأولين والآخرين
 ليوم لا ريب فيه، ولا أفلح يوم الحساب من ندما.

فاللهم اعف عنا، واغفر لنا، وتجاوز عنا، وأرنا الحق حقاً وارزقنا

اجتنابه، والباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، ولا تجعله ملتبساً علينا فنضلل،
 واجعلنا للمتقين إماماً، وإلى الشروع في المقصود.
 وصل اللهم وسلم وبارك على محمد وآله وأصحابه وأزواجه أمهات
 المؤمنين، وارض عن جميع أصحابه ~~جميعهم~~ أجمعين.

كتبه

أبو يحيى محمد بن عبده

بلطيم - كفر الشيخ - مصر

تعظيم العلم

لتعظيم العلم صور متعددة :

منها : الجد والاجتهاد في طلبه وتحصيله وجمعه :

لقد ضرب السلف أروع الأمثلة في الجد والاجتهاد في تحصيل العلم الشرعي .

\$ فابو هريرة رضي الله عنه بلغ من حرصه على الحديث ما شهد له به عليه السلام ^(١) ، ففي نحو من أربع سنوات فقط ^(٢) قضاها مع النبي عليه السلام لزمه في تلك المدة - على شبع بطنه - في حله وترحاله، وغزواته، وأقضيته، وجلوسه للتعليم ، بينما أقرانه كان يشغلهم الصفق في الأسواق، أو العمل في الزرع، وأما هو فكان حريصاً على أن لا يفوته الحديث والعلم، فبلغ أن قيل

(١) فقد سأل النبي عليه السلام سؤال حريص على العلم فقال عليه السلام : « لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلَ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ جُرْحِكَ عَلَى الْحَدِيثِ ... » كما في صحيح البخاري (٩٩).

(٢) على ما بينته في كتابي «صحيح السيرة النبوية» ص ٨٢٦.

فقد أسلم أبو هريرة سنة ٧ من الهجرة، وصحب رسول الله عليه السلام، ولزمه إلى آخر حياته الطبية المباركة، وتوفي النبي عليه السلام سنة ١١ هـ

فيه: «حافظ الصحابة» رحمهم الله (١).

ولما استنكر اثاره من العلم وقدر ما حمل من الحديث انتصب فقال: «
إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ، وَلَوْ لَا آيَتَانِ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا حَدَّثْتُ
حَدِيثًا، ثُمَّ يَتْلُو {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى} [البقرة:
١٥٩] إِلَى قَوْلِهِ {الرَّحِيمُ} [البقرة: ١٦٠] إِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانَ
يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ، وَإِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الْعَمَلُ
فِي أَمْوَالِهِمْ، وَإِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ يَلْزِمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِشَبَعِ بَطْنِهِ، وَيَحْضُرُ مَا
لَا يَحْضُرُونَ، وَيَحْفَظُ مَا لَا يَحْفَظُونَ» (٢).

ولفظ مسلم (٣): «إِنَّكُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، يُكْثِرُ الْحَدِيثَ عَنْ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ، وَاللَّهُ الْمَوْعِدُ، كُنْتُ رَجُلًا مِسْكِينًا، أَخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى مِلءِ

(١) روى له الإمام أحمد وحده في «المسند» (٣٨٤٨) حديثاً: من رقم (٧١١٩) إلى

(١٠٩٩٧) وفيها مكرر كثير، باللفظ أو بالمعنى، كعادة المسند في تكرار الحديث.

ويصفو له منها- بعد حذف المكرر- خير كثير. وهو أكثر الصحابة رحمهم الله رواية على كل

حال، كما قال الشيخ أحمد شاكر في «حاشية المسند» (٦/ ٥٢١).

(٢) أخرجه البخاري (١١٨).

(٣) برقم (٢٤٩٢).

بَطْنِي، وَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ وَكَانَتِ الْأَنْصَارُ يَشْغَلُهُمُ الْقِيَامُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يَبْسُطُ ثَوْبَهُ فَلَنْ يَنْسَى شَيْئًا سَمِعَهُ مِنِّي» فَبَسَطْتُ ثَوْبِي حَتَّى قَضَى حَدِيثَهُ، ثُمَّ ضَمَمْتُهُ إِلَيَّ، فَمَا نَسِيتُ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْهُ.

وأشهد أم المؤمنين العالمة عائشة ابنة الصديق على صدق ما روى فأقرت له، وما أنكرت سعة حفظه وعلمه رحمته (١).

\$ وهذا ابن مسعود رحمته يقول: «قَرَأْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْضًا وَسَبْعِينَ سُورَةً، وَلَقَدْ عَلِمَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنِّي أَعَلَمُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَلَوْ أَعَلِمُ أَنَّ أَحَدًا أَعَلَمُ مِنِّي لَرَحَلْتُ إِلَيْهِ» (٢).

\$ وجابر بن عبد الله يشتري جملاً ويسافر عليه مسيرة شهر لتحصيل

(١) ففي صحيح البخاري (٣٥٦٨) ومسلم (٢٤٩٣) أَنَّ عُرْوَةَ بِنَ الزُّبَيْرِ، حَدَّثَتْهُ أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ: أَلَا يُعْجِبُكَ أَبُو هُرَيْرَةَ جَاءَ فَجَلَسَ إِلَى جَنْبِ حُجْرَتِي يُحَدِّثُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يُسَمِّعُنِي ذَلِكَ، وَكُنْتُ أَسْبَحُ، فَقَامَ قَبْلَ أَنْ أَقْضِيَ سُبْحَتِي، وَلَوْ أَدْرَكْتُهُ لَرَدَدْتُ عَلَيْهِ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «لَمْ يَكُنْ يَسْرُدُ الْحَدِيثَ كَسَرِدِكُمْ». فلو أنكرت عليه علمه أو حفظه للأحاديث لذكرت، إذ لا يؤخر البيان عن وقت الحاجة.

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٦٢).

حديث واحد يأخذه من عبد الله ابن أنيس رضي الله عنه: «يَحْشُرُ اللَّهُ الْعِبَادَ فَيَنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعْدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرَبَ أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الدَّيَّانُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَاحِدٌ مِنْ أَهْلِ النَّارِ يُطَالِيهِ بِمَظْلَمَةٍ حَتَّى اللَّطْمَةِ...» الحديث^(١).

في حديث واحد يبذل له ذلك، فما المطلوب بذلة من طلاب العلم في سبيل تحصيل العلم الشرعي المشتمل على آلاف الأحاديث!

\$ وزيد بن ثابت رضي الله عنه :

أخرج الترمذي عن زيد بن ثابت قال: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَتَعَلَّمَ لَهُ كَلِمَاتٍ مِنْ كِتَابِ يَهُودَ قَالَ: إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَمَنْ يَهُودَ عَلَى كِتَابٍ قَالَ: فَمَا مَرَّ بِي نِصْفُ شَهْرٍ حَتَّى تَعَلَّمْتُهُ لَهُ قَالَ: فَلَمَّا تَعَلَّمْتُهُ كَانَ إِذَا كَتَبَ إِلَى يَهُودَ كَتَبْتُ إِلَيْهِمْ، وَإِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ قَرَأْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ»^(٢).

وأخرج عبد بن حميد وابن حبان وغيرهما^(٣) عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ:

(١) وهو حديث حسن أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٩٧٠)، وأحمد (٤٩٥/٣).

وتمام تخريجه في كتابي «الفوائد النيرة» برقم (٦٠٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٧١٥) وعبد بن حميد وهو ثابت كما خرجته في «المصاحف».

(٣) برقم (٢٤٣)، وابن حبان (٧١٣٦) وهو ثابت صحيح.

قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَحْسِنُ السُّرْيَانِيَّةَ؟» قُلْتُ: لَا، قَالَ: «فَتَعَلَّمَهَا فَإِنَّهُ تَأْتِينَا كُتُبٌ» قَالَ: فَتَعَلَّمْتُهَا فِي سَبْعَةِ عَشَرَ يَوْمًا.

جمع بين لغتين بإتقان بلغ أن كان مترجماً في هذه المدة اليسيرة.
ذلك لخوفه على الوحي .

لكن الناس يتفوقون في زماننا في علوم الدنيا لا يرضون فيها بالدون
وينظرون فيها إلى المعالي .

ولكن إذا كان يذاكر العلم الشرعي فتجد من الكسل والتواني
والتعليلات والأعذار ما تجد، والله المستعان.

فاستكثر من ميراثه ﷺ يا طالب العلم فإنه أحسن من ميراث أبيك
وغيره ، وليعلم أن قيمة كل امرئ ما يحسن، ومنهومان لا يشبعان: طالب
العلم، وطالب دنيا.

وأما الجد والاجتهاد عند سلف هذه الأمة فضربوا أروع الأمثلة في
هذا، والحديث عنهم في هذا طويل يحتاج إلى مصنف مستقل .

ولما كان من تعظيم العلم هيبته أهله رأيت يتجرأ على أهل العلم إلا
الجاهل الذي قل نصيبه من العلم والفقه والتوفيق والسداد.

وأول من اجتراً على أهل العلم في هذه الأمة رأس المنافقين عبد الله بن أبي

بن سلول، يوم أن نبزهم ، ولم يسلم النبي ﷺ نفسه منه ^(١) ولا من أمثاله كابن لصيت وغيره ^(٢) .

(١) ففي صحيح البخاري (٤٩٠٠) عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، قَالَ: كُنْتُ فِي غَزَاةٍ فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ، يَقُولُ: لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِهِ، وَلَيْثِنْ رَجَعْنَا مِنْ عِنْدِهِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمِّي أَوْ لِعَمْرٍ، فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَدَعَانِي فَحَدَّثَنِي، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ وَأَصْحَابِهِ، فَحَلَفُوا مَا قَالُوا، فَكَذَّبَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَدَّقَهُ، فَأَصَابَنِي هَمٌّ لَمْ يُصِبنِي مِثْلُهُ قَطُّ، فَجَلَسْتُ فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ لِي عَمِّي: مَا أَرَدْتَ إِلَى أَنْ كَذَّبَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَقَّتَكَ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ} [المنافقون: ١] فَبَعَثَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَقَرَأَ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْدٌ» وانظر صحيح مسلم (٢٥٨٤).

(٢) أخرج ابن إسحاق كما في «سيرة ابن هشام» (٤٧٠ / ٢) بإسناد حسن، عن عاصم بن عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَيْدٍ، عَنْ رَجَالٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، قَالُوا: فَقَالَ زَيْدُ بْنُ اللَّصِيتِ، وَهُوَ فِي رَحْلِ عِمَارَةَ وَعِمَارَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَلَيْسَ مُحَمَّدٌ يُزْعِمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَيُخْبِرُكُمْ عَنْ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَهُوَ لَا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعِمَارَةُ عِنْدَهُ: «إِنَّ رَجُلًا قَالَ: هَذَا مُحَمَّدٌ يُخْبِرُكُمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَيَزْعِمُ أَنَّهُ يُخْبِرُكُمْ بِأَمْرِ السَّمَاءِ وَهُوَ لَا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ إِلَّا مَا عَلَّمَنِي اللَّهُ وَقَدْ دَلَّنِي اللَّهُ عَلَيْهَا، وَهِيَ فِي هَذَا الْوَادِي، فِي شَعْبٍ كَذَا وَكَذَا، قَدْ حَبَسَتْهَا شَجَرَةٌ بِرِمَامِهَا» فَانْطَلَقُوا حَتَّى تَأْتُونِي بِهَا، فَذَهَبُوا، فَجَاءُوا بِهَا. فَرَجَعَ عِمَارَةُ بْنُ حَزْمٍ إِلَى رَحْلِهِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَعَجَبٌ مِنْ شَيْءٍ

١- **فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** قَالَ: « قَالَ رَجُلٌ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فِي مَجْلِسٍ يَوْمًا: مَا رَأَيْتُ مِثْلَ قُرَائِنَا هَؤُلَاءِ لَا أَرْغَبُ بِطُوتِنَا، وَلَا أَكْذَبُ أَلْسِنَةً، وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللُّقَاءِ، فَقَالَ رَجُلٌ فِي الْمَجْلِسِ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ لِأَخْبَرَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ وَنَزَلَ الْقُرْآنُ... الحديث (١).

٢- **وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ: « لَمَّا أُمِرْنَا بِالصَّدَقَةِ كُنَّا نَتَحَامَلُ، فَجَاءَ أَبُو عَقِيلٍ بِنِصْفِ صَاعٍ، (٢) وَجَاءَ إِنْسَانٌ بَأَكْثَرِ مِنْهُ، فَقَالَ الْمُنَافِقُونَ: إِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْ صَدَقَةِ هَذَا، وَمَا فَعَلَ هَذَا الْآخَرُ إِلَّا رِثَاءً، فَتَزَلَّتْ: { الَّذِينَ

حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنفَاءً، عَنْ مَقَالَةٍ قَائِلٍ أَخْبَرَهُ اللَّهُ عَنْهُ بِكَذَا وَكَذَا، لِلَّذِي قَالَ زَيْدُ بْنُ لُصَيْبٍ، فَقَالَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ فِي رَحْلِ عُمَارَةَ وَلَمْ يَحْضُرْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: زَيْدٌ وَاللَّهِ قَالَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَ.

فَأَقْبَلَ عُمَارَةُ عَلَى زَيْدٍ يَجُأُ فِي عُنُقِهِ وَيَقُولُ: إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ فِي رَحْلِي لَدَاهِيَةً وَمَا أَشْعُرُ، أُخْرِجْ أَيْ عَدُوَّ اللَّهِ مِنْ رَحْلِي، فَلَا تَصْحَبْنِي».

(١) أخرجه ابن أبي حاتم، في «تفسيره» (١٨٢٩/٦)، بإسنادٍ حسن.

(٢) وفي صحيح مسلم (٢٧٦٩) أن أبا خيثمة الأنصاري، هو الذي تصدَّق بِصَاعِ التَّمْرِ حِينَ لَمَزَهُ الْمُنَافِقُونَ...»، فالظاهر أن غير واحد من الصحابة تصدقوا بقليل فلمزهم المنافقون في صدقاتهم التي لا يجدون غيرها، فهي جهدهم.

يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ، وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ} [التوبة: ٧٩] «الآية (١)».

٣- وفي سنن النسائي ^(٢) بإسناد صحيح عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: وَقَعَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ فِي سَعْدٍ عِنْدَ عُمَرَ فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا يُحْسِنُ الصَّلَاةَ. فَقَالَ: «أَمَّا أَنَا فَأُصَلِّي بِهِمْ صَلَاةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَا أَخْرِمُ عَنْهَا أَرْكَدُ فِي الْأُولَيْنِ، وَأَحْذِفُ فِي الْآخِرَيْنِ». قَالَ: ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ .

وهو في الصحيحين ^(٣) عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: شَكَأ أَهْلُ الْكُوفَةِ سَعْدًا إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَعَزَلَهُ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَّارًا، فَشَكَّوْا حَتَّى ذَكَّرُوا أَنَّهُ لَا يُحْسِنُ يُصَلِّي، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ إِنَّ هَؤُلَاءِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لَا تُحْسِنُ تُصَلِّي، قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: أَمَّا أَنَا وَاللَّهِ «فَإِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي بِهِمْ صَلَاةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَخْرِمُ عَنْهَا، أُصَلِّي صَلَاةَ الْعِشَاءِ، فَأَرْكَدُ فِي الْأُولَيْنِ وَأُخَفُّ فِي الْآخِرَيْنِ»، قَالَ: ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ، فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلًا أَوْ رَجُلَيْنِ إِلَى الْكُوفَةِ، فَسَأَلَ عَنْهُ أَهْلُ الْكُوفَةِ وَلَمْ يَدْعُ مَسْجِدًا إِلَّا

(١) أخرجه البخاري (٤٦٦٨) ومسلم (١٠١٨).

(٢) في « الكبرى » (١٠٧٧)، وأخرجه البزار برقم (٣٧٠٧).

(٣) في صحيح البخاري (٧٥٥)، ومسلم (٤٥٣).

سَأَلَ عَنْهُ، وَيُثْنُونَ مَعْرُوفًا، حَتَّى دَخَلَ مَسْجِدًا لِبَنِي عَبْسٍ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ أَسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ يُكْنَى أَبَا سَعْدَةَ قَالَ: أَمَّا إِذْ نَشَدْتَنَا فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لَا يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ، وَلَا يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلَا يَعْدِلُ فِي الْقَضِيَّةِ، قَالَ سَعْدٌ: أَمَّا وَاللَّهِ لَأَدْعُونَ بِثَلَاثٍ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا، قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَأَطْلُ عُمُرَهُ، وَأَطْلُ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ بِالْفِتَنِ، وَكَانَ بَعْدَ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ، أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ، قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ، قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ الْكِبَرِ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي الطَّرْقِ يَغْمِزُهُنَّ

وليت شعري من يُدافع عن أهل العلم إن لم يدافع عنهم طلابهم؟
وهم ورثة الأنبياء، وحُماة الدين، ونُشر الفضائل، وكُتبت المساوئ،
وأهل تنبيه الناس وتعريفهم بالله ورسوله ﷺ والحق الواجب عليهم،
وأيديهم فوق الناس مهما بذل الناس لهم ودفعوا لهم من متاع الدنيا
الزائل، والله درهم.

فما دام طالب العلم انتصب لتعلم العلم فليكن صادقاً في طلبه مجداً في
تحصيله، باذل في سبيل تحصيله ما يليق بعظمته.

فقد تجد طالب العلم الشرعي الموروث عن النبي ﷺ وأصحابه
الكرام، تجده وكان من المفترض قد انتصب لطلبه وشمر عن ساعد الجد،

فإذا لاحت له الدنيا بزخارفها، أو عارضته الشدائد ونكبات الدنيا، أو عاقه أي من العوائق كان أول ما يتخفف منه طلب العلم.

فتراه - مع جودة فهمه وقد كانت تُرجى بركته - تراه مضيّعاً للعلوم لأجل دنيا دنيّة، فيا حسرة على من هذا حاله، نسأل الله العافية.

وتراه وقد مات قلبه، فمرّ عليه زمن في البعد عن العلم وأهله وقد هجر الكتب التي كان يسكن بينها أكثر أوقاته، ومجالس العلم التي كان حريصاً على التذكير إليها، مبكّثاً غيره إذا فاته منها شيء، كان أمراً غيره بملازمته مشجّعاً له، وإن رآه معرضاً تهكّم عليه وأظهر له السُّخرية والاستعاذة مما رآه عليه، عياداً بالله من الحور بعد الكور... إنا لله!

لموت قلبه لا يشعر بالتحول، والبعد، بل بالإعراض عن العلم وأهله! فنعوذ بالله من تقلُّب القلوب، وصرْفها عن معالي الأمور، وإبداله بالخشيس الفاني.

فهل هذا الطالب ممن عظموا العلم، وقَدَّروه حق قدره على الوجه الذي لا يليق به؟

ومن تعظيم العلم: التضحية وتحمل المشاق في سبيل تحصيله ما أمكن:

فكم بذل طلاب العلم قديماً وحديثاً، وتحملوا من الشدائد ما تحمّلوا

فما وهنوا لما أصابهم في ذلك وما ضعفوا وما استكانوا.
والعلم لن يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك، فإن لم تعطه إلا بعضك
فلم يعطيك شيئاً.

وتقدم حال أبي هريرة وجابر بن عبد الله رضي الله عنهما

وقد قال أبو هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّاسَ كَانُوا يَقُولُونَ أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَإِنِّي
كُنْتُ أَلْزَمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِشَيْءٍ بَطْنِي حَتَّى لَا أَكُلَ الْخَمِيرَ، ^(١) وَلَا أَلْبَسُ
الْحَبِيرَ، ^(٢) وَلَا يَخْذُمْنِي فُلَانٌ، وَلَا فُلَانَةٌ وَكُنْتُ أُلْصِقُ بَطْنِي بِالْحَضَبَاءِ مِنَ
الْجُوعِ وَإِنْ كُنْتُ لَأَسْتَقْرِئُ الرَّجُلَ الْآيَةَ هِيَ مَعِيَ كَيْ يَنْقَلِبَ بِي فَيُطْعِمَنِي،
وَكَانَ آخِرَ النَّاسِ لِلْمُسْكِينِ جَعْفَرُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ كَانَ يَنْقَلِبُ بِنَا فَيُطْعِمُنَا
مَا كَانَ فِي بَيْتِهِ حَتَّى إِنْ كَانَ لَيُخْرِجُ إِلَيْنَا الْعُكَّةَ ^(٣) الَّتِي لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ
فَنَشُقُّهَا فَنَلْعَقُ مَا فِيهَا ^(٤).

وقال ابن عباس مجسداً المهمة في تحصيل العلم، وتحمل المشاق في سبيل

(١) المراد بالخمير: خبز الخميرة، وهو ما يُخمر وحل عجياً.

(٢) الحبير: هو الثياب الحبرة، وهو الجديد الحسن، أو ما كان موشياً مخططاً.

(٣) وهي آنية السمن.

(٤) أخرجه البخاري (٣٧٠٨).

تحصيله مع احترامه أهله وإجلالهم، مع علو منزلته، وسعة علمه الذي قد يفوق كثير منهم، يقول **رحمته**:

أَقْبَلْتُ عَلَى الْمُسْأَلَةِ ^(١) فَإِنْ كَانَ لَيَبْلُغُنِي الْحَدِيثُ عَنِ الرَّجُلِ فَاتِيهِ وَهُوَ قَائِلٌ: فَأَتَوَسَّدُ رِدَائِي عَلَى بَابِهِ فَتَسْفِي الرِّيحُ عَلَى وَجْهِهِ التُّرَابَ فَيَخْرُجُ فَيَرَانِي فَيَقُولُ: يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ مَا جَاءَ بِكَ إِلَّا أَرْسَلْتَ إِلَيَّ فَاتِيكَ فَأَقُولُ: لَا أَنَا أَحَقُّ أَنْ آتِيكَ فَأَسْأَلَهُ عَنِ الْحَدِيثِ ^(٢).

وأما من بعدهم فشرح أحوالهم يطول

ومن تعظيم العلم:

الاهتمام بتحرير المسائل العلمية والأحاديث والآثار السلفية وأقوال

العلماء (مدى ثبوت نسبتها لقائلها، وقوتها حججها من ضعفها).

يُحَرَّرُ حق المنقول من باطله والصحيح من السَّقِيم لا سيما ما يُنسب إلى النبي ﷺ والصحابة **رضي الله عنهم** والأئمة رحمهم الله، تحرير ه قبل الخوض فيه

(١) وهذا ما ينبغي أن يكون عليه طالب العلم المجد المجتهد الموفق أن لا يميل مع المائلين أو ينحدر مع المنحدرين أو يلعب ويلهو مع اللاهين، فكم سقط في هذا المنزلق عدد من طلاب العلم لا يُحْصَوْنَ كثرة .

(٢) أخرجه عبد الله في « زوائد الفضائل » (١٩٢٥) والطبراني (١٠ / ٢٤٤) والحاكم

(١٠٦ / ١) بإسنادٍ صحيح .

فما عظم العلم الشرعيّ من تكلم في دين الله بغير علم، بل هو - في الحقيقة - استخفّ بعقول مستمعيه، ولو احترّمهم ما لعب بعقولهم، ولا قرّر لهم ما لا دراية له به، فهذا من أضّر الناس على مستمعيه لكونه قد حال بينهم وبين أهل العلم الحقيقيين من أهل التحرير، وكم قد لعب أقوام في شبكات التواصل فجمعوا الناس عليهم كأنهم علماء، ونحن في زمن «من جلس جُلس له».

فبدلاً من أن يأخذوهم ويجلسون معهم تحت أقدام العلماء ويغتنموا أجر دلائتهم على العلماء - ونعم العمل - بدلاً من هذا قد حالوا بينهم وبين العلماء!

بل والله سُمع من بعض من التّفوّأ بأولئك الأحداث، والمبتدعة الذين خالفوا أصول السنة يواجهون من يردّ عليهم فيبين ضلالهم، وينصح مما وقعوا فيه من مخالفات ليحذرها الناس يقولون: إذا سقط فلان وفلان -

(١) والمنقول عن السلف والعلماء يحتاج إلى معرفة بثبوت لفظه ومعرفة دلالته كما يحتاج إلى

ذلك المنقول عن الله ورَسُولِهِ كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى»

يشيرون إلى أهل الأهواء على أنهم رموز - إذا سقطوا في أعين الناس فمن يبقى؟!

فهل هؤلاء إلا حيارى قد تاهوا عن معرفة العلماء بحق، وإلى الله المشتكى حينما يُنصبُّ هؤلاء موجّهون للباحثين عن طريق السلف؟! وتأمل كيف حالوا بين الناس وبين أهل العلم الحقيقيين، وسمّوا لهم المبتدعة والأحداث علماء، وألبسوهم ثياب العلماء أهل السنة، وجعلوا هالة إعلامية لترويج أقوالهم ومنازل ائتفكوها لهم، حتى اغترّ بهم العامة، وبالطبع سيرمون أهل العلم الحقيقيين بالألقاب لثلاث يسقطوا شيوخم المبتدعة هؤلاء بردودهم عليهم^(١)، وكيف زيفهم ومن هنا عظمت البليّة، بتبدّل الحقائق، وإبعاد الناس وصرفهم عن علماء السنة، والتفافهم حول الزائغين، وإضلالهم عنهم، فشرب الناس البدع شرباً، وحاربوا السنن وأهلها، وهاجموا القائمين بها وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا. مع أن من احترام أهل العلم جعلهم للناس أئمة، وصدّ الجهال عن

(١) وقد قرّر الحافظ ابن رجب الحنبلي تحريراً عليه عشرات الأدلة قال: «أما أهل البدع والضلالة ومن تشبه بالعلماء وليس منهم فيجوز بيان جهلهم وإظهار عيوبهم تحذيراً من الاقتداء بهم» «الفرق بين النصيحة والتعير» ص ١٣.

إيذائهم، ومهاجمة من يُغري الناس بهم، ما داموا مستمسكين بأصول أهل السنة والجماعة، ولم يحيدوا عنها، ونعوذ بالله من تسلط المبتدعة والجهلة .
ومن يهن الله ما له من مكرم .

فلا تقبلوا من العلم إلا ما كان مُحَرَّرًا، والعلم دين فليُنظر المرء ممن يأخذ دينه .

ومن احترام وتعظيم العلم، تعظيم أهل العلم وقبول الحق منهم وعدم مجادلته، لا سيما من قِبَل طلابهم .

ولذلك كم تجد من بعض العلماء حدةً أحياناً، حينما يرون ذلك فلا يُستغرب^(١) .

✽ فعائشة رضي الله عنها لما عنفت ابن أخيها القاسم بن محمد لخطأ أو تقصير حصل منه فغضبَ القاسمُ وأَصَبَ عَلَيْهَا، فَلَمَّا رَأَى مَائِدَةَ عَائِشَةَ، قَدْ أُتِيَ بِهَا قَامٌ، قَالَتْ: أَيْنَ؟ قَالَ: أَصْلِي، قَالَتْ: اجْلِسْ، قَالَ: إِنِّي أَصْلِي، قَالَتْ:

(١) وقد أورد ابن عبد البر في «الجامع» (٣٠٣) قصة صحيحة المعنى أن امرأة قالت لإبراهيم النخعي: يَا أَبَا عِمْرَانَ، أَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعُلَمَاءِ أَحَدُ النَّاسِ .. فَقَالَ لَهَا: أَمَّا مَا ذَكَرْتِ مِنَ الْحِدَّةِ فَإِنَّ الْعِلْمَ مَعَنَا، وَالْجَهْلَ مَعَ مُخَالِفِينَا وَهُمْ يَأْبُونَ إِلَّا دَفَعَ عَلِمْنَا بِجَهْلِهِمْ فَمَنْ ذَا يُطِيقُ الصَّبْرَ عَلَى هَذَا؟!

اجْلِسْ غَدْرُ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا صَلَاةَ بِحَضْرَةِ الطَّعَامِ، وَلَا هُوَ يُدَافِعُهُ الْأَخْبَثَانِ»^(١).

فنسبته إلى الغدر، وهو ترك الوفاء، وَأَكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ فِي النَّدَاءِ بِالشَّيْءِ، وَإِنَّمَا قَالَتْ لَهُ غَدْرٌ لِأَنَّهُ مَأْمُورٌ بِاحْتِرَامِهَا لِأَنَّهَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ وَعَمَّتُهُ وَأَكْبَرُ مِنْهُ وَنَاصِحَةٌ لَهُ وَمُؤَدِّبَةٌ فَكَانَ حَقُّهُ أَنْ يَحْتَمِلَهَا وَلَا يَغْضَبَ عَلَيْهَا.^(٢)

وقد قال الزهري: كان أبو سلمة يماري ابن عباسٍ فحرم بذلك علماً كثيراً.^(٣)

وفي رواية قال الزهري لأبي سلمة قال: «لَوْ رَفَقْتَ بِابْنِ عَبَّاسٍ لَأَسْتَخَرَجْتَ مِنْهُ عِلْماً كَثِيراً». وَقَالَ سُفْيَانُ مَرَّةً: «عِلْماً جَمًّا».^(٤) وإسناده صحيح.

فالتلطف عند سؤال أهل العلم المطلوب، لا أن يجادل، أو يمارى، فضلاً أن يعنّفه السائل أو يخشّن عبارته في استرشاده، فهذا ليس سبيل

(١) والحدِيث بذلك أخرجه مسلم برقم (٥٦٠).

(٢) وراجع فصلاً في كتابي «طالب العلم حقوقه وآدابه» ص ٣٦٥

(٣) وقد أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٤٩٨) ط الريان.

(٤) وأخرجه الأجرى في «أخلاق العلماء» (٦٥)، والخطيب في «الجامع» (٣٨٢).



واحترام أهله

المؤدَّبين المحترمين الذين ينزلون الناس منازلهم .

ولذلك قال الحكماء:

إذا جالست العلماء فكن حريصاً على أن تسمعَ أحرص منك على أن تقولَ.

وقال الحسنُ بن علي لابنه^(١):

« يا بني إذا جالست العلماء فكن حريصاً على أن تسمعَ أحرص منك على أن تقولَ ، وتعلِّمَ حُسنَ الاستماع كما تتعلم حسنَ الصمتِ ، ولا تقطعْ على أحدٍ حديثاً وإن طالَ حتى يُمسِكَ^(٢) .

ومن احترام أهل العلم تقديمهم للناس أئمة ، وعدم النيل منهم لخطأ بدا منهم ، ما لم يكن مخالفة لأصل من أصول أهل السنة والجماعة .
فأهل العلم ليسوا معصومين ، وكل يؤخذ منه ويُردّ عليه إلا النبي ﷺ ، فلا يتبعون في زلَّتْهم ، ولا يبالغ في تضخيمها ، ولا يدافع عنهم إذا خالفوا الحق .

(١) فيما نقله ابن عبد البر في «جامعه» (٢٥٦/١) ط مؤسسة الريان عنه .

(٢) وراجع فصلاً في هذا الباب في كتابي «طالب العلم حقوقه وآدابه» في التلطف مع الشيخ

ومن كثرة الخلط في هذا الباب أَلَفْتُ كتابًا لإصلاحه، والحمد لله ^(١).

ومن تعظيم العلم واحترام أهله : سؤالهم عما يعنّ لهم، وعدم التقدم بين

أيديهم في النوال، والجهل مرض ، شفاؤه السؤال، وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال «أَلَا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ».

وليس من احترام أهل العلم السكوت على أخطائهم، وعدم الردّ عليهم،

والتنفير من الردود عليهم، بل هذا خيانة لهم، وتضييع لحقوقهم في الناس، وخيانة للمنهج السلفي، فليس هذا في مصلحة العلماء لا في قبيل ولا دير.

فإن من حق العالم على طلاب العلم تبين ما جانب فيه الصواب، مع

احترامه، وعدم تبديعة بكل خطأ كما يفعل الحدادية، بيان الحق واجب، والتحذير مما خالف فيه الحق واجب، فالمبين لما أخطئوا فيه، فالرّاد عليهم خيرٌ هُوَ لَاءِ مِنْ أُمّهَاتِهِمْ وَأَبَائِهِمْ إِنْ لَمْ يَكُونُوا كَذَلِكَ، الرادُّ عليهم ينهي النَّاسَ أَنْ يَعْمَلُوا بِمَا أَحَدَثُوا فَبِعَتْنَهُمْ أَوْزَارُهُمْ، وَأَمَّا مَنْ أَطْرَاهُمْ فَهُوَ أَضَرَّ عَلَيْهِمْ، فَتَنَّبَهُ.

وقد بُدِّلَتْ حقائق وزيّفت في هذا الباب نسأل الله السلامة، ولي كتاب

(١) سمّيته بـ «التعريف بالعلماء وذكر حقوقهم ومسالك أهل البدع معهم على مر الأزمان».

تحت الطبع لإصلاح هذا الباب^(١).

ومن تعظيم العلم واحترام أهله هيبة العلماء :

* فهذا ابن عباس رضي الله عنه يقول: كُنْتُ أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ عَنِ الْمُرَاتَيْنِ اللَّتَيْنِ تَظَاهَرَتَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَبِثْتُ سَنَةً مَا أَجِدُ لَهُ مَوْضِعًا، حَتَّى صَحِبْتُهُ إِلَى مَكَّةَ، فَلَمَّا كَانَ بِمَرِّ الظَّهْرَانِ ذَهَبَ يَقْضِي حَاجَتَهُ، فَقَالَ: أَذْرِكْنِي بِإِدَاوَةٍ مِنْ مَاءٍ، فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَلَمَّا قَضَى حَاجَتَهُ وَرَجَعَ، ذَهَبْتُ أَصْبُ عَلَيْهِ، وَذَكَرْتُ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَنِ الْمُرَاتَانِ؟... الخبر^(٢).

* وأخرج الطبري^(٣) بإسنادٍ صحيحٍ عن مغيرة قال: كنا نهابُ إبراهيم النخعي كما نهابُ الأمير.

* وأخرج ابن سعد و أبو نعيم^(٤) بإسنادٍ صحيحٍ عن الزُّهْرِيِّ قال: إِنْ كُنْتُ لَأَتِي بَابَ عُروَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، فَأَجْلِسُ ثُمَّ أَنْصَرِفُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ أَدْخُلَ لَدَخَلْتُ إِعْظَمًا لَهُ.

(١) سمّيته بـ «فقه الرد على المخالف» يسر الله طبعه، اللهم آمين.

(٢) أخرجه البخاري (٤٩١٥) ومسلم (١٤٧٩).

(٣) في «تهذيب الآثار» (٥٤٥ / ٢).

(٤) انظر «الطبقات الكبرى» (١ / ١٦٩) و «حلية الأولياء» (٣ / ٣٦٢).

والعادة جارية بأن من ينظر إلى العلماء بمهابة هو أكثر الناس استفادة منهم، وإنما يتجرأ على العلماء الجهال، فلا يحترمونهم الاحترام الوافي، وهم أقل الناس نفعاً- إن كان فيهم منفعة- وأدناهم فقهاً إن وُجد عندهم منه.

✽ لما سها رسول الله ﷺ في صلاته وفي القوم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فهابا أن يكلماه. هكذا الكبار.

وقد استفاد عمرو بن العاص كثيراً مع قلة مكثه مع النبي ﷺ لعظم هيئته له، فما كان يطيق أن يملأ عينه من النبي ﷺ حياءً.

قال رضي الله عنه: «مَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا أَجَلَ فِي عَيْنِي مِنْهُ، وَمَا كُنْتُ أَطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنِي مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ؛ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنِي مِنْهُ»^(١).

ولقد جرت العادة في طلاب العلم أن من غلبت عليه هيبة العالم كان أكثر استفادة منه عمن كان جريئاً، ومثّل لهذا بموقف أبي بكر وعمر الذين هابا أن يسألا رسول الله ﷺ عن سهوه في صلاته، وموقف ذي اليتين^(٢)، فكان أعلى قدراً وعلماً واستفادة منه رضي الله عنه.

(١) أخرجه مسلم (١٢١).

(٢) أخرج الحديث بذكر القصة البخاري (٤٨٢).

✽ وقال عمرو بن عبسة: فقدمتُ عليه فإذا رسولُكم مستخفياً جرأً عليه قومه. ^(١) كان يهاب النبي ﷺ.

✽ وفي الصحيح ^(٢) عن ابن عباس قال: «لَبِثْتُ سَنَةً وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ، عَنِ الْمَرَاتَيْنِ اللَّتَيْنِ تَظَاهَرَتَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَجَعَلْتُ أَهَابُهُ». فالجريء على العالم أسوته أهل الجاهلية، أو أهل الجفاء من الأعراب أهل الغلظة.

✽ وقد أخرج ابن الجعد ^(٣) بسندٍ صحيح عن يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ قال: قَالَ لِي شُعْبَةُ: «كُلُّ مَنْ كَتَبْتُ عَنْهُ حَدِيثًا، فَأَنَا لَهُ عَبْدٌ».

والمعنى: أنه يحترمه كما يحترم العبد سيده.

✽ وأخرج ^(٤) بسندٍ صحيح عن أَبِي أُسَامَةَ قَالَ: وَافَقْنَا مِنْ شُعْبَةَ طِيبَ نَفْسٍ، فَقُلْنَا لَهُ: حَدِّثْنَا، وَلَا تُحَدِّثْنَا إِلَّا عَنْ ثِقَةٍ، فَقَالَ: قُومُوا.

✽ وقال الزهري: كنت لآتي باب عروة فأرجع إعظاماً له، ولو شئت

(١) كما في صحيح مسلم (٨٣٢).

(٢) البخاري (٥٨٤٣) ومسلم (١٤٧٩).

(٣) في «الجعديات» (١٢).

(٤) في «الجعديات» (٨).

أن أدخل عليه لدخلت^(١).

وذلك - والله أعلم - لكونه لم ير منهم توقيراً في خطابهم معه، وقد علم أن شعبة كان لا يروي إلا عن ثقة في الجملة، ويشدد في الرجال. **وأخرج الفسوي^(٢) بسند صحيح عن همام بن يحيى قال:** جاء شعبة إلى

قتادة فحدث قتادة بحديث فقال شعبة: ممن سمعت هذا؟

قال قتادة: والله إن كنا لنجلّهم أن نسألهم ممن سمعت.. الأثر^(٣).

والحاصل من الطلبة قديماً من نحو ذلك محمود على احترام وإجلال الطلبة للعلماء وينبغي أن يضبط بضوابط^(٤).

(١) أخرجه الفسوي في «المعرفة» بسند صحيح عنه.

(٢) في «المعرفة» (١٨/٢).

(٣) والأمر الوسط في إجلال العلماء لا إفراط ولا تفريط وكلا طرفي الأمور ذميم.

(٤) فأخرج الخطيب البغدادي في «الجامع لأدب الراوي والسامع» (٢٩٨) بإسناده عن

أيوب قال: كان الرجل يجلس إلى الحسن ثلاث سنين فلا يسأله عن شيء هيبة له

وإسناده وإن كان ثابتاً إلا أنه ليس ظاهره هو الحكمة في التعامل بين الطالب والعالم

في جميع الأحوال على الدوام.

فليس من أدب الطالب وهيبة العالم ترك سؤاله عما يستشكل وإلا فهو مخالف

لنصوص الشرعية التي وردت عن رسول الله ﷺ وعادة السلف: وإنما شفاء العي -

ومن تعظيم العلم وإجلال العالم عدم جداله :

مع أن الجدل عموماً مذموم، فَمَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ أَوْ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ كما قال النبي ﷺ.

وليتوق طالب العلم ذرائع النِّفرة التي تكون بينه وبين شيخه، فإنها أم حرمان منفعته منه، بل ربما عداوته لشيخه، ثم ربما رؤية محاسنه قبائح، نعوذ بالله من الهوى والفضاظة.

فإذا حصلت النِّفرةُ بين طالب العلم وشيخه أو بينه وبين رجلٍ فاضلٍ أو صالحٍ عموماً ووجد الطالبُ ذلك من نفسه .

الجهل - السؤال، وقد كان رسول الله ﷺ مُهاباً بين أصحابه، ولم يمنعهم ذلك من السؤال عما يستشكل عليهم، فذاك حياء مذموم وقد سألوهم عما يستحيا منه، ومما ذكروه في ذلك:

ما أخرجه الخطيب في « الجامع » (٣٤٤) عن خلف الأحمر قال : جئني أحمد بن حنبل يسمع حديث أبي عوانة فاجتهدتُ أن أرفعه فأبى وقال : لا أجلس إلا بين يديك ، أمرنا أن نتواضع لمن نتعلم منه . ولكن في إسناده محمد بن الحسن بن محمد بن زياد المقرئ النقاش وهو متهم .

فليبحث عن المقتضي لذلك ليسعى في إزالته حتى يتخلص من الوصف المذموم وكذلك في عكسه.

وقد استنبط ذلك الإمام ابن الجوزي^(١) واستفاده من قوله ﷺ: «الأرواح جنود مجنّدة، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»^(٢).

ومن احترام العلماء معاونتهم في أمور دينهم:

، ودعوتهم توصيل كلمتهم للناس، ففي هذا تحقيق مصالح دينية ودنيوية، بل من الأدب والبر معاونة العلماء في أمور دنياهم.

ولا تسقط هيبة العلماء ومنازلهم إذا تجرّأ السفهاء عليهم:

بل يُدافع عنه، وعلى الشيخ أن يتحمّل الأذى من طلبته أو ممن يدعوهم، وتبقى هيئته عندهم.

ففي صحيح مسلم^(٣) لما ذهب عمرو بن عبسة إلى رسول الله ﷺ قال: «فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُسْتَخْفِيًا جُرْءًا عَلَيْهِ قَوْمُهُ...» ولم

(١) فيما حكاه عنه الحافظ في «فتح الباري» (٦/٤٤٩).

(٢) صحيح أخرجه البخاري (٣٣٣٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وله شاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه مسلم (٢٦٣٨).

(٣) برقم (٨٣٢).

تنقص هيئته ﷺ عنده.

وفي « الصحيح » عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكُهُ أَعْرَابِيٌّ، فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ، قَدْ أَثَرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: مُرِّي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ؛ فَالْتَمَتَ إِلَيْهِ، فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ^(١).

وفي « الصحيح » لما أثار النبي ﷺ في القسمة أناساً من أشراف العرب وأثرهم يومئذٍ في القسمة. فَقَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ قِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا، وَمَا أُرِيدَ فِيهَا وَجْهُ اللَّهِ.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: وَاللَّهِ لَا خُبْرَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ كَالصَّرْفِ^(٢). ثُمَّ قَالَ: «فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟» ثُمَّ قَالَ: «يَرْحُمُ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرِ مَنْ هَذَا فَصَبِرَ»^(٣).

(١) صحيح. أخرجه البخاري (٣١٤٩) ومسلم (١٠٥٧).

(٢) الصرف: هو صبغ أحمر يُصَبَّغُ به الجلود.

(٣) صحيح. أخرجه البخاري (٣١٥٠) ومسلم (١٠٦٢).

وقد أخرج ابن خزيمة بإسنادٍ صحيح عن عبد الله بن شقيق قال :
 قلت لعائشة : أَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي قَاعِدًا قَالَتْ نَعَمْ بَعْدَ مَا حَطَّمَهُ
 النَّاسُ (١).

وفي « صحيح مسلم » عن ابن مسعود ؓ قال : « بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
 يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابُ لَهُ جُلُوسٌ وَقَدْ نُحِرَتْ جُزُورٌ
 بِالْأَمْسِ ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى سَلَا جُزُورِ بَنِي فَلَانٍ فَيَأْخُذُهُ
 فَيَضَعُهُ فِي كَتْفِي مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ ، فَانْبَعَثَ أَشَقَى الْقَوْمِ فَأَخَذَهُ ، فَلَمَّا سَجَدَ
 النَّبِيُّ ﷺ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتْفَيْهِ قَالَ : فَاسْتَضَحُّكُوا وَجَعَلْ بَعْضُهُمْ يَمِيلُ عَلَى
 بَعْضٍ وَأَنَا قَائِمٌ أَنْظُرُ لَوْ كَانَتْ لِي مَنَعَةٌ طَرَحْتُهُ عَنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ،
 وَالنَّبِيُّ ﷺ سَاجِدٌ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ ، حَتَّى انْطَلَقَ إِنْسَانٌ فَأَخْبَرَ فَاطِمَةَ فَجَاءَتْ
 وَهِيَ جُوَيْرِيَّةٌ فَطَرَحَتْهُ عَنْهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَشْتِمُهُمْ ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ
 ﷺ صَلَاتَهُ رَفَعَ صَوْتَهُ ثُمَّ دَعَا عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ إِذَا دَعَا ثَلَاثًا وَإِذَا سَأَلَ
 سَأَلَ ثَلَاثًا ، ثُمَّ قَالَ : « اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ » ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَلَمَّا سَمِعُوا
 صَوْتَهُ ذَهَبَ عَنْهُمْ الضُّحْكُ وَخَافُوا دَعْوَتَهُ ، ثُمَّ قَالَ : « اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي

(١) أخرجه ابن خزيمة (١٢٤١) .

(٣) أخرجه النسائي (١٦٥٧) ، وأبو داود (٩٥٧) ، وابن خزيمة (١٢١٤) وغيرهم .

جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَالْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلْفٍ وَعُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ « وَذَكَرَ السَّابِعَ وَلَمْ أَحْفَظْهُ فَوَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ سَمَى صَرَعى يَوْمَ بَدْرٍ ثُمَّ سُجِبُوا إِلَى الْقَلِيبِ قَلِيبَ بَدْرٍ ^(١) .

فلم يتأثر الصحابة بإيذاء النبي ﷺ ونيل الكفار من هيبته التي تناولها بعض سفهاء قريش .

وفي صحيح البخاري ^(٢) عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ خِيَارٍ، أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رضي الله عنه - وَهُوَ مُحْضُورٌ - فَقَالَ: إِنَّكَ إِمَامٌ عَامَّةٍ، وَنَزَلَ بِكَ مَا نَرَى، وَيُصَلِّي لَنَا إِمَامٌ فَتْنَةٌ، وَتَتَحَرَّجُ؟ فَقَالَ: «الصَّلَاةُ أَحْسَنُ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ، فَإِذَا أَحْسَنَ النَّاسُ، فَأَحْسِنَ مَعَهُمْ، وَإِذَا أَسَاءُوا فَاجْتَنِبْ إِسَاءَتَهُمْ.

فمنزلة عثمان رضي الله عنه لم تُخدش لكون الأوباش الخوارج الأرزال قد

حَصَرُوهُ، ومنعوه من شرب الماء حتى منعوه من الخروج إلى الصلاة، جرأة عليه رضي الله عنه، وهو من هو؟!

ومن احترام العالم أن يشكر الشيخ على توقيفه على ما فيه فضيلة، وعلى

(١) صحيح . أخرجه مسلم (١٧٩٤) .

(٢) برقم (٦٩٥)

توبيخه له على ما فيه نقیصة، أو على كسلٍ يعتریه، أو قصورٍ يعانیه أو على غیر ذلك مما فيه إیقافه علیه، وتوبيخه وإرشاده وصلاحه، وיעدّ ذلك من الشیخ من نعم الله تعالى علیه باعتناء الشیخ به ونظره إليه، فإنّ ذلك أمیل لقلب الشیخ وأبعث على الاعتناء بمصالحه (١).

وینبرُ بهذه المحاسن التي عند الشیخ غیره لیثّ الخیر فی الناس ویعلی قدر من رفع الله قدره من العلماء .

ولما قتل أسامة ﷺ الرجل بعد أن قال: لا إله إلا الله، قال له رسول الله ﷺ: «لَمْ قَتَلْتُهُ؟»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَوْجَعُ فِي الْمُسْلِمِينَ وَقَتْلُ فَلَانًا وَفَلَانًا وَسَمَى لَهُ نَفَرًا وَإِنِّي حَمَلْتُ عَلَيْهِ فَلَمَّا رَأَى السَّيْفَ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَقَتَلْتُهُ؟»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ اسْتَغْفِرْ لِي... الحديث (٢).

ولما سرت امرأة مخزومية فزَع قَوْمُهَا إِلَى أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ يَسْتَشْفِعُونَهُ، قَالَ عُرْوَةُ: فَلَمَّا كَلَّمَهُ أُسَامَةُ فِيهَا تَلَوْنَ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «أَتَكَلِّمُنِي

(١) «تذكرة السامع والمتكلم» (ص ١٩٣).

(٢) صحيح أخرجه البخاري (٤٢٦٩)، ومسلم (٩٧) واللفظ له.

فِي حَدِّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟» قَالَ أَسَامَةُ: اسْتَغْفِرُ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ.. الْحَدِيث (١).

وفي «الصحيحين» من حديث عبد الله بن زيد بن عاصم قال: لَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ يَوْمَ حُنَيْنٍ مَا أَفَاءَ قَسَمَ فِي النَّاسِ فِي الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَلَمْ يَقْسِمِ أَوْ لَمْ يُعْطِ الْأَنْصَارَ شَيْئًا فَكَأَنَّهُ وَجَدَ إِذْ لَمْ يُصِبْهُمْ مَا أَصَابَ أَوْ كَأَنَّهُمْ وَجَدُوا إِذْ لَمْ يُصِبْهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضَلَالًا فَهَذَا كُمْ اللَّهُ بِي وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلْفَكُمُ اللَّهُ بِي وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ بِي»، قَالَ: كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنٌ، قَالَ: «مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا؟»، قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنٌ، قَالَ: «لَوْ شِئْتُمْ قُلْتُمْ جِئْتَنَا كَذًا وَكَذَا أَتْرَضُونَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَذْهَبُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى رِحَالِكُمْ...» الْحَدِيث (٢).

وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: «يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ ؟» (٣).

وفي «مسند أحمد» (٤) بإسناد حسن قول جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه:

(١) صحيح أخرجه البخاري (٤٣٠٤)، ومسلم (١٦٨٨).

(٢) صحيح. أخرجه البخاري (٤٣٣٠)، ومسلم (١٠٦١).

(٣) صحيح. أخرجه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧).

(٤) في «مسنده» (٣٠١ / ١).

أَيُّهَا الْمَلِكُ كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ وَنُسِيءُ الْجَوَارِ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَ الضَّعِيفِ فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِّنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِتَوْحِيدِهِ وَنَعْبُدَهُ وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ وَحُسْنِ الْجَوَارِ وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالِدِّمَاءِ وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ وَقَوْلِ الزُّورِ وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ ، قَالَ : فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ» الحديث .

ومن احترام العلماء : أن لا يدخل على الشيخ في غير المجلس العام إلا

باستئذان سواء كان الشيخ وحده أم كان معه غيره فإذا استأذن بحيث يعلمُ الشيخ ولم يأذن له انصرف ولا يكرر الاستئذان .

ومن احترام العلماء : أنه إذا حضر الطالب إلى مكان الشيخ فلم يجدْهُ

جالسًا انتظرهُ كي لا يفوت على نفسه درسًا ، فإن كل درس يفوت لا عوض له ، ولا يطرُق عليه - أي على الشيخ - ليخرج إليه ، وإن كان نائمًا صبر حتى يستيقظ ، أو ينصرف ثم يعود ، والصبر خير له .

ومن ذلك : أن لا يسبق الشيخ إلى شرح مسألة أو جواب سؤال منه أو من غيره

ولا يسأوقه فيه، ولا يظهر معرفته به أو إدراكه له قبل الشيخ، فإن عرض الشيخ عليه ذلك ابتداءً والتمسه منه فلا بأس.

ومن ذلك التلطف في رد الشيخ إلى الصواب :

وهي من آداب الطالب في نفسه أثناء القراءة على الشيخ، إذا رد الشيخ عليه لفظة وظن أو علم أن رده خلاف الصواب.

كرر اللفظة مع ما قبلها ليتنبه لها الشيخ أو يأتي بلفظ الصواب على سبيل الاستفهام ربما وقع ذلك سهواً^(١) أو سبق لسان لغفلة، فلا يقل له: بل هي كذا، بل يتلطف في تنبيه الشيخ لها.

وقد هاب أبو بكر وعمر أن يسألا رسول الله ﷺ عن سهوه في الصلاة حتى قام ذو اليمين وقال: أَقْصَرَتِ الصَّلَاةُ، أَمْ نَسِيتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟^(٢) وسأل أبي رسول الله ﷺ عن نسيانه في الصلاة.

فإن لم ينتبه الشيخ للتنبيه قال: فهل يجوز فيها كذا؟

(١) **وقد سهأ** النبي ﷺ في الصلاة التي هي أعظم من قراءة العلم، بل نسي ﷺ آية وهو في الصلاة، وعليه القرآن أنزل، وقال له أبي بن كعب: يا رسول الله؛ نسيت آية كذا وكذا؟ وهو عند ابن خزيمة (١٦٧٤) بإسناد صحيح. فلا إشكال أن يخطئ الشيخ، فليس هو بمعصوم.

(٢) وحديثه في صحيح البخاري (٤٨٢)، ومسلم (٥٧٣).

فإن رجع الشيخ في الصواب فلا كلام، وإلا ترك تحقيقها إلى مجلس آخر يتلطف فيه ؛ لاحتمال أن يكون الصواب مع الشيخ .

وقد قالت عائشة لرسول الله ﷺ لما قال عن الرجل : « بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ » ، فلما قدم الرجل عليه الآن له الكلام فسألت عائشة فقالت : يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْتَ مَا قُلْتَ ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ الْكَلَامَ قَالَ : « يَا عَائِشَةُ إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءً فُحْشِهِ » (١).

وخديجة رضي الله عنها تركت الاستفسار عما حصل لرسول الله ﷺ في الغار إلى وقت آخر، وزمّلته حتى ذهب عنه الرّوع ثم سألته، (٢). كذا تلطفت .

وإذا تحقق الطالب خطأ الشيخ في جواب مسألة لا يفوت تحقيقه لاسيما إذا كان يعسر تداركه بعد.

فإن كان كذلك كالكتابة في رقاع الاستفتاء وكون السائل غريباً أو بعيد الدار أو مُشنعاً تعين تنبيه الشيخ على ذلك في الحال بإشارة أو تصريح فإن ترك ذلك خيانة للشيخ، فيجب نصحه بتيقظه لذلك فيما أمكن من تلطف أو غيره.

(١) وحديثه في صحيح البخاري (٦٠٥٤)، ومسلم (٢٥٩١).

(٢) وحديثها الطويل في بدء الوحي في صحيح البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠).

فإن عمر لقي أبا هريرة ومعه نعل رسول الله ﷺ وقال: «بَعَثَنِي مَنْ لَقِيتُ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَقِئًا بِهَا قَلْبُهُ بِشْرَتُهُ بِالْجَنَّةِ فَضْرَبَ عُمَرُ بِيَدِهِ بَيْنَ ثَدْيَيْ فَخَرَزْتُ لِإِسْتِي فَقَالَ...» الحديث.

وقال رسول الله ﷺ لعمر حينذاك: «مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟» فقال عمر: أَبْعَثَ أَبَا هُرَيْرَةَ بِنَعْلَيْكَ مَنْ لَقِيَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَقِئًا بِهَا قَلْبُهُ بِشْرَهُ بِالْجَنَّةِ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: فَلَا تَفْعَلْ فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَتَّكَلَ النَّاسُ عَلَيْهَا فَخَلَّيْهُمْ يَعْمَلُونَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَخَلَّيْهُمْ» (٢).

وتقدم حديث الرجل الذي قال لرسول الله ﷺ: يَا مُحَمَّدُ عَلَامَ تَحْبِسُ جِيرَتِي، فَصَمَتَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْهُ، فَقَالَ: إِنَّ نَاسًا لَيَقُولُونَ إِنَّكَ تَنْهَى عَنْ الشَّرِّ وَتَسْتَخْلِي بِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا يَقُولُ؟»، قَالَ معاوية بن حيدة - من قومه - : فَجَعَلْتُ أَعْرِضُ بَيْنَهُمَا بِالْكَلامِ مُحَافَةً أَنْ يَسْمَعَهَا فَيَدْعُو عَلَى قَوْمِي دَعْوَةً لَا يُفْلِحُونَ بَعْدَهَا أَبَدًا» الحديث (٣). ، وهذا من التلطف

(١) نبه عليه بدر الدين بن جماعة في « تذكرة السامع والمتكلم » (ص ٢١٤).

(٢) صحيح أخرجه مسلم (٣١).

(٣) أخرجه أحمد (٤٤٧/٤) بإسناد حسن.

في القول معه .

وقد انتظر النبي ﷺ بالعشاء وأخبرها فقال عمر رضي الله عنه: « نَامَ النِّسَاءُ وَالصَّبِيَّانُ فَخَرَجَ فَقَالَ لِأَهْلِ الْمَسْجِدِ : « مَا يَنْتَظِرُهَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ غَيْرُكُمْ » (١).

وأنبه إلى أن التزام أدب السؤال مهم جداً، وإياك إذا حصل الجواب أن تقول: لكن الشيخ فلاناً قال لي كذا، أو قال كذا، فإن هذا وهن في الأدب، وضرب لأهل العلم بعضهم ببعض فاحذر هذا... وتلطّف وكن عاقلاً .

فإن كنت ولا بد فاعلاً، فكن واضحاً في السؤال وقل: ما رأيك في الفتوى بكذا، ض ولا تسمّ أحداً (٢).

فإذا لم يفهم الطالب لا يستحي أن يقول: لم أفهم.

فمن سوء الأدب أن يقول: الشيخ الفلاني قال كذا. وأسأل تفقهاً لا تعنتاً يرحمك الله، وقد تقدم كلام في هذا الباب فيضم إلى ما هاهنا.

وينبغي أن يترحم طالب العلم على مصنف الكتاب عند قراءته، فهو من

(١) صحيح أخرجه البخاري (٥٦٦)، ومسلم (٦٣٨).

(٢) وقد نبّه على ذلك الشيخ بكر أبو زيد رحمته الله، كما في « حلية طالب العلم » (ص ١٥٠).

احترام أهل العلم وبذل حقوقهم، وإذا دعا الطالب للشيخ قال: ورضي الله عنكم وعن شيخنا وإمامنا ونحو ذلك ويقصد به الشيخ^(١).

وإذا فرغ من الدرس دعا للشيخ أيضاً، وقال له جزاك الله خيراً. ويدعو الشيخ أيضاً للطالب كلما دعا له، فإن ترك الطالب الاستفتاح بما ذكرناه جهلاً أو نسياناً نبّهه عليه وعلمه إياه وذكره به فإنه من أهم الآداب

وقد قال القاضي عياض رحمته في «الإلماع»: حَدَّثَنَا الْقَاضِي أَبُو عَلِيٍّ الصَّدِيقِيُّ قَالَ سَمِعْتُ شَيْخَنَا أَبَا مُحَمَّدٍ التَّمِيمِيَّ الْحَنْبَلِيَّ يَقُولُ: يَقْبَحُ بِكُمْ أَنْ تَسْتَفِيدُوا بِنَا ثُمَّ تَذْكُرُونَا وَلَا تَتَرَحَّمُوا عَلَيْنَا^(٢).

وقد قال رحمته: «رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ»^(٣). وقال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ (الرحمن: ٦٠). وقال: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٤).

(١) ولا يقتصر على الدعاء بالرحمة للميت فقط، فالحي أيضاً في حاجة إلى الدعاء له بالرحمة.

(٢) «الإلماع» للقاضي عياض (ص ٢٢٦، ٢٢٧).

وأبو عبد الله الصديقي هذا قال الذهبي في «السير» (١٩/٣٧٦): «الإمام العلامة

الحافظ»، فالسند صحيح إلى أبي أحمد التميمي.

(٣) أخرجه البخاري (٣١٥٠) ومسلم (١٠٦٢).

وقال تعالى عن أهل الإيمان المفلحين الذين أتوا من بعد سلفهم
 الصالح: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ
 فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ
 يُوقِ شَحْنَ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝١﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ
 يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا
 لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ۝١٠﴾ الحشر: ٩ - ١٠ .

وأخرج أبو داود^(١) وغيره بسند صحيح عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ
قال: «لَا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ».

وإذا استفدت من عالم معلومة أو من كتابه فاعزو المعلومة له، واذكر أنه
أفادك بها.

فقد أثر عن سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ نِسْبَةَ الْفَائِدَةِ إِلَى مُفِيدِهَا مِنْ
الصَّدَقِ فِي الْعِلْمِ وَشُكْرِهِ، وَإِنَّ السُّكُوتَ عَنْ ذَلِكَ مِنَ الْكَذِبِ فِي الْعِلْمِ
وَكُفْرِهِ^(٢).

(١) برقم (٤٨١١).

(٢) كما ذكره ابنُ جماعةٍ في مَنْسَكِهِ الْكَبِيرِ فيما حكاه عنه فيما حكاه عنه علي القارئ في «الأسرار

المرفوعة» (١٠٢).

وقال ابن عبد البر^(١):

مِنْ بَرَكَةِ الْعِلْمِ وَآدَابِهِ الْإِنْصَافُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يُنْصَفْ لَمْ يَفْهَمْ وَلَمْ يَتَفَهَّمْ.

وقال النووي^(٢):

« ومن النصيحة أن تضاف الفائدة التي تستغرب إلى قائلها فمن فعل ذلك بورك له في علمه وحاله ومن أوهم ذلك وأوهم فيها يأخذه من كلام غيره أنه له فهو جدير أن لا ينتفع بعلمه ولا يبارك له في حال. ولم يزل أهل العلم والفضل على إضافة الفوائد إلى قائلها نسأل الله تعالى التوفيق لذلك دائماً ».

قال السيوطي رحمه الله^(٣):

« من بركة العلم وشكره عزؤه إلى قائله. وذكر أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم حدثهم قال: حدثنا العباس بن محمد الدوري قال: سمعت أبا عبيد يقول: مَنْ شَكَرَ الْعِلْمَ أَنْ تَسْتَفِيدَ الشَّيْءَ، فَإِذَا ذَكَرَ لَكَ قُلْتُ: خَفِيَ عَلَيَّ كَذَا وَكَذَا، وَلَمْ يَكُنْ لِي بِهِ عِلْمٌ حَتَّى أَفَادَنِي فَلَانَ فِيهِ كَذَا وَكَذَا فَهَذَا شُكْرُ الْعِلْمِ. انتهى. »

(١) في «جامع بيان العلم وفضله» (١٧٩/٢).

(٢) في «بستان العارفين» ص ١٦.

(٣) في «المزهر في علوم اللغة وأنواعها» (٢٧٣/٢).

قلت (السيوطي): ولهذا لا تراني أذكر في شيء من تصانيفي حرفاً إلا معزواً إلى قائله من العلماء، مبيناً كتابه الذي ذكر فيه .

ومن أحقُّ بالدعاء من رجلٍ أوصل إليك رسالة رسول رب العالمين لتُبَصِّرَ طريق الجنة فيها تكافئه؟!

وإن عهد الشيخ إلى غيرك فلا تنكر تقول : لماذا فضّل فلاناً علي وعهد إليه به ..؟ فتلك مزلة أقدام وبدايات انحراف وسوء أدب... تحرم من علم الشيخ .

وإن شغل الشيخ عن هذا مع بعض الطلبة فلا يكثر الطالب من العتب عليه .

بل ربما يشغل الشيخ عن تقويم ولده، فيجمل بطالبه أن يُسدّد في الإعانة ويخلفه بخير، يتقدّم بالنصح لأولاده ويرسل بالنصح لأهله، لا أن ينسبه إلى التقصير، وينشر الانتقاد !

ففي الصحيح^(١) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «... يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَمَرْتُ نِسَاءَكَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ، فَإِنَّهُ يُكَلِّمُهُنَّ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، فَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ، وَاجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَيْرَةِ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ هُنَّ: «عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ»، فَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ .

وفي الصحيح^(١) اسْتَأْذَنَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدَهُ نِسَاءٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمُنَّهُ وَيَسْتَكْثِرُنَّهُ، عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ قُفِيَ يَتَدَرَنَ الْحِجَابَ، فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَضْحَكُ، فَقَالَ عُمَرُ: أَضْحَكَ اللَّهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي، فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الْحِجَابَ» قَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنْتَ أَحَقَّ أَنْ يَهَبْنَ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّ عَدَوَاتٍ أَنْفُسِهِنَّ، أَتَهْبِنِي وَلَا تَهْبِنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ قُلْنَ: نَعَمْ، أَنْتَ أَفْظُ وَأَغْلَظُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

وفي الصحيح^(٢) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: خَرَجْتُ سَوْدَةَ بَعْدَمَا ضَرَبَ الْحِجَابُ لِحَاجَتِهَا، وَكَانَتْ امْرَأَةً جَسِيمَةً لَا تَخْفَى عَلَى مَنْ يَعْرِفُهَا، فَرَأَاهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ: يَا سَوْدَةُ، أَمَا وَاللَّهِ مَا تَخْفَيْنَ عَلَيْنَا، فَاَنْظُرِي كَيْفَ تَخْرُجِينَ، قَالَتْ: فَاَنْكَفَأْتُ رَاجِعَةً، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِي، وَإِنَّهُ لَيَتَعَشَّى وَفِي يَدِهِ عَرَقٌ، فَدَخَلْتُ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي خَرَجْتُ لِبَعْضِ حَاجَتِي، فَقَالَ لِي عُمَرُ كَذَا وَكَذَا، قَالَتْ: فَأَوْحَى إِلَيْهِ ثُمَّ رَفَعَ عَنْهُ، وَإِنَّ

(١) برقم (٣٢٩٤) ومسلم (٢٣٩٦) من حديث سعد بن أبي وقاصت .

(٢) برقم (٤٧٩٥) ومسلم (٢١٧٠).

الْعَرَقَ فِي يَدِهِ مَا وَضَعَهُ، فَقَالَ: «إِنَّهُ قَدْ أُذِنَ لَكُنَّ أَنْ تَخْرُجْنَ لِحَاجَتِكُنَّ».

**ويجمل بطالب العلم أن يكون هادئ الطبع مع شيخه احتراماً له وإجلالاً،
لين الجانب، حليماً لاسيما عند نصيح شيخه له، كثير التأمل في محاسن شيخه
ومن سبقه في الطلب، لا متربصاً بأخطائه، ولا مختزناً لها حتى إذا سنحت
الفرصة له انتفض عليه كفعل أهل النفاق.**

وأن يكون ذا أناة، ليلتقط طباع الخير من أهلها، مستفيداً من إخوانه
إن وجد عندهم حُسن خلة، وأن يكون غير متسرع في الحكم صبوراً على
شيخه إن وجد ما يراه مُنكَراً لأول وهلة.

فَعَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «قَامَ مُوسَى النَّبِيُّ خَطِيباً فِي بَنِي
إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُ، فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرِدَّ
الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ
مِنْكَ، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ بِهِ؟ فَقِيلَ لَهُ: احْمِلْ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ فَإِذَا فَقَدْتَهُ
فَهُوَ نَمٌّ، فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقَ بِفَتَاهُ يُوشَعَ بْنِ نُونٍ وَحَمَلَا حُوتًا فِي مِكْتَلٍ حَتَّى
كَانَا عِنْدَ الصَّخْرَةِ وَضَعَا رُءُوسَهُمَا وَنَامَا فَانْسَلَّ الْحُوتُ مِنَ الْمِكْتَلِ فَأَتَمَّخَذَ
سَيْلُهُ فِي الْبَحْرِ سَرِيًّا» (الكهف: ٦١)، وَكَانَ لِمُوسَى وَفَتَاهُ عَجَبًا فَاَنْطَلَقَا بَقِيَّةَ
لَيْلَتِهِمَا وَيَوْمَهُمَا فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ: «إِنَّا غَدَاءْنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ
سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا» (الكهف: ٦٢)، وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى مَسًّا مِنَ النَّصَبِ حَتَّى

جَاوَزَ الْمَكَانَ الَّذِي أَمَرَ بِهِ فَقَالَ لَهُ فَتَاهُ : ﴿ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ ﴾ (الكهف: ٦٣) ، قَالَ مُوسَى : ﴿ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ أُنُورِهِمَا قَصَصَا ﴾ (الكهف: ٦٤) ، فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ إِذَا رَجُلٌ مُّسَجًى بِثَوْبٍ أَوْ قَالَ : تَسَجًى بِثَوْبِهِ فَسَلَّمَ مُوسَى فَقَالَ الْخَضِرُ : وَأَنْتَى بِأَرْضِكَ السَّلَامَ ، فَقَالَ : أَنَا مُوسَى ، فَقَالَ : مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : ﴿ هَلْ أَتَبِعَكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴾ (الكهف: ٦٦) ، قَالَ : ﴿ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ (الكهف: ٦٧) ، يَا مُوسَى إِنِّي عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمْنِيهِ لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ ، وَأَنْتَ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَّمَكُهُ لَا أَعْلَمُهُ ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ (الكهف: ٦٩) ، فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ لَيْسَ لُهُمَا سَفِينَةٌ فَمَرَّتَ بِهِمَا سَفِينَةٌ فَكَلَّمُوهُمَا أَنْ يَحْمِلُوهُمَا فَعَرَفَ الْخَضِرُ فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ فَجَاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ فَتَقَرَّرَ نَقْرَةً أَوْ تَقَرَّرَتَيْنِ فِي الْبَحْرِ فَقَالَ الْخَضِرُ : يَا مُوسَى مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا كَنَقْرَةِ هَذَا الْعُصْفُورِ فِي الْبَحْرِ ، فَعَمَدَ الْخَضِرُ إِلَى لَوْحٍ مِنَ الْأَوْحِ السَّفِينَةِ فَزَرَعَهُ ، فَقَالَ مُوسَى : قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَحَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ (٧٢-٧٣) ، فَكَانَتْ الْأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا ، فَانْطَلَقَا فَإِذَا غُلَامٌ يَلْعَبُ مَعَ الْغُلَامَانِ فَأَخَذَ الْخَضِرُ بَرَأْسِهِ مِنْ

أَعْلَاهُ فَأَقْتَلَعَ رَأْسَهُ بِيَدِهِ فَقَالَ مُوسَى : ﴿ أَفَلَيْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾
(الكهف: ٧٤) ، ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ (الكهف: ٧٥).

قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ : وَهَذَا أَوْ كَدُّ، فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَنْيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا
فَأَبَوَا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ، (الكهف: ٧٧)
، قَالَ الْخَضِرُ بِيَدِهِ فَأَقَامَهُ ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى : ﴿ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ
أَجْرًا ﴾ (٧٧) قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ﴿ الكهف: ٧٧ - ٧٨ ﴾ . قَالَ النَّبِيُّ ﷺ :
يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى لَوَدِدْنَا لَوْ صَبَرَ حَتَّى يُقْصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا ^(١) .
وإنما لم يسأل موسى عليه السلام بعدُ مُدَاوِمَةَ المصاحبة، لأنه كان قد
شرط عليه أن لا يسأله عن شيء حتى يُحدث له منه ذكراً.

(١) أخرجه البخاري رقم (١٢٢) ، ومسلم (٢٣٨٠) .

أثر احترام العلماء على الفرد والمجتمع

نسمع في زماننا هذا من يتكلم في أعراض العلماء ويتهمهم بالجهل، وعدم إدراك الأمور على حقيقتها، وعدم فقه الواقع، وهذا أمر خطير، فإنه إذا فقدت الثقة في علماء المسلمين فمن يقود الأمة الإسلامية، ومن يُرجعُ إليه في الفتاوى والأحكام؟

وما هو إلا دسٌ من أعداء الإسلام وتبعهم عليه الجهلة، وانطلى على كثير ممن لا يدركون الأمور.

أعزّ شيء في الأمة هم العلماء فلا يجوز أن تنتقصهم أو نتهمهم بالجهل والغباوة وبالمداهنة أو نسميهم علماء السلاطين أو غير ذلك؛ هذا خطر عظيم يا عباد الله، فلتتقي الله من هذا الأمر ونحذر من ذلك .

والطريقة الصحيحة للتعامل مع العلماء عند ظن خطأهم، ليس في أننا نُشهر بهم، وأن نتخذهم أغراضاً في المجالس، أو ربما على بعض المنابر أو بعض الدروس والمحاضرات، لا يجوز هذا أبداً، حتى لو حصلت من عالم الزلة أو خطأ فإن العلاج يكون بغير تلك الطريقة، قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ { .

فإن العلماء ورثة الأنبياء، ولو كان فيهم ما فيهم ما لم يخالفوا أصول أهل السنة، أو يتكبوا المنهج السلفي، فهم أولى بالاحترام والتقدير منهم. نسأل الله العافية والسلامة^(١).

فبغياهم تزدحم المفاصد :

@ ففي قوم نوح لما غاب العلماء ماذا حدث؟

قال ابن عباس رضي الله عنه: «صَارَتِ الْأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي الْعَرَبِ بَعْدَ أَمَّا وَدٌ كَانَتْ لِكَلْبٍ بِدَوْمَةِ الْجَنْدَلِ، وَأَمَّا سُوَأٌ كَانَتْ لِهَذِيلٍ، وَأَمَّا يَعُوثٌ فَكَانَتْ لِمُرَادٍ، ثُمَّ لِنَبِيِّ غُطَيْفٍ بِالْجَوْفِ، عِنْدَ سَبَا، وَأَمَّا يَعُوقُ فَكَانَتْ لَهُمْدَانُ، وَأَمَّا نَسْرٌ فَكَانَتْ لِحَمِيرٍ لَالٍ ذِي الْكَلاَعِ، أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ، أَنْ انْصَبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوَهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أَوْلَيْكَ وَنَسَخَ الْعِلْمُ^(٢) عُبِدَتْ»^(٣).

(١) من كلام الشيخ الفوزان في كتابه «وجوب التثبت من الأخبار واحترام العلماء» ص ٢٦

وما بعدها بتصرف.

(٢) تنسخ العلم: زالت معرفة الناس بأصل نصبها

(٣) أخرجه البخاري (٤٩٢٠).

فحينما وجد العلم والعلماء لم تُعبَد.

@ ولما غاب العالم عن الرجل الذي كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ وقد قَتَلَ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ إِنْسَانًا، ثُمَّ خَرَجَ يَسْأَلُ، فَأَتَى رَاهِبًا فَسَأَلَهُ فَقَالَ لَهُ: هَلْ مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ... الحديث^(١).

ترداد البليّة حينما يغيب العلماء حسًا أو معنى كما رأيت.

@ وقد قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِرَاعًا يَنْتَرِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»^(٢).

نتيجة حتمية متى غاب العلماء، والله المستعان .

ثم إن المثقفين والوعاظ والقصاص، وأنصاف المتعلمين، والعلماء - في غير العلم الشرعي - لا يعوّضون الأمة عن العلماء أبدًا، بل ربما أضروا إذا صرفت أنظار الناس إليهم عن العلماء الحقيقيين علماء الشريعة، والله المستعان. وإطلاق لفظ العلماء على هؤلاء إطلاق في غير محله.

بل من أضرارهم أحيانًا الحيلولة بين الناس وبين العلماء الحقيقيين

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٠) ومسلم (٢٧٦٦).

(٢) أخرجه البخاري (١٠٠) ومسلم (٢٦٧٣).

ويصرفون الناس عن العلماء بحق لتشبه بعضهم بالعلماء، فيضرون الناس بضلالهم، فتكون البلية بهم عظيمة، والله المستعان.

تنبيه : فرق بين احترام الشيخ وإجلاله وتبجيله وبين التعصب لأرائه

وأقواله وعدم الالتفات لغيره ممن الحق معه، فالأول مطلوب والثاني

مذموم .

فالمتصف بالوصف الثاني قد حرم نفسه من الخير وابتلي بعدم الإنصاف، وكثير من هؤلاء كأنهم أَلْعَوْا عُقُوبَهُمْ، وأصبحوا مع شيخهم كالبهيمة التي يُفُودُهَا صاحبها، فإن قال شيخه: لا تسمع لفلان امتثل أمره، وظنَّ أنه سيقع في الضلال والانحراف بمجرد الاقتراب ممن حذَّره منه، مع علمه أن خيخه هذا نفسه ليس بمعصوم!

وأقبح من ذلك أن يكون المُحَذَّر منه على السنة لا جَرَح فيه.

وقد بكى ربيعة الرأي شيخ مالك لما رأى أن النَّاسُ عِنْدَ عُلَمَائِهِمْ كَالصَّيَّانِ فِي حُجُورِ أُمَّهَاتِهِمْ، مَا نَهَوْهُمْ عَنْهُ أَنْتَهَوْا وَمَا أَمَرُوهُمْ بِهِ اتَّمَرُوا

قال الذهبي رحمه الله في « السير »:

« لَمْ أَنْقُمْ عَلَى الْقَاضِي رَحِمَهُ اللَّهُ - يعني أبي بكر بن العربي المالكي - إِلَّا إِقْدَاعَهُ فِي ذَمِّ ابْنِ حَزْمٍ وَاسْتِجْهَالَهُ لَهُ، وَابْنَ حَزْمٍ أَوْسَعُ دَائِرَةِ مِنْ أَبِي بَكْرٍ فِي الْعُلُومِ، وَأَحْفَظُ بِكَثِيرٍ، وَقَدْ أَصَابَ فِي أَشْيَاءَ وَأَجَادَ، وَزَلَقَ فِي مَضَائِقِ

كغيره من الأئمة، والإنصاف عزيز». (١)

وأخرج أبو نعيم وغيره بإسناد صحيح عن حماد بن زيد، قال: قال لنا أيوب: «إِنَّكَ لَا تُبْصِرُ خَطَأَ مُعَلِّمِكَ حَتَّى تُجَالِسَ غَيْرَهُ، جَالِسِ النَّاسَ» (٢).
ولفظ الدارمي:

« إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ خَطَأَ مُعَلِّمِكَ، فَجَالِسْ غَيْرَهُ » (٣)

وقال حماد بن زيد: «إِنَّكَ لَا تَعْرِفُ خَطَأَ مُعَلِّمِكَ حَتَّى تُجَالِسَ غَيْرَهُ» (٤).

وقد أخرج ابن معين في « تاريخه » وغيره بإسناد صحيح عن ضمرة بن ربيعة، ثنا ابن شوذب عن مطر الوراق قال: « مَثَلُ الَّذِي يَرْوِي عَنْ عَالِمٍ وَاحِدٍ مَثَلُ الَّذِي لَهُ امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ إِذَا حَاضَتْ بَقِيَ » (٥).

(١) « سير أعلام النبلاء » (٢٠ / ٢٠٢) .

(٢) أخرجه الفسوي في « المعرفة » (١٣٦ / ٢) وأبو زرعة في « تاريخه » وأبو حاتم في « الجرح والتعديل » (٢٦٦ / ١) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٩ / ٣) ، وابن عبد البر في «

الجامع» (٦١٣) وابن المخلص في «المخلصيات» (٢٢٤٤) وغيرهم

(٣) «سنن الدارمي» (٦٦٩).

(٤) أخرجه ابن عبد البر في «الجامع» (٦٠٧)

(٥) أخرجه ابن معين في « تاريخه » (٤٣٣١) ، وابن عبد البر في « الجامع » (٨٥٥) ،

وقال السخاوي رحمه الله في معرض ذكره لتعدد المشايخ:
« التَّعَدُّدُ أَكْثَرُ فَائِدَةً »^(١).

وروى ابن عبد البر رحمه الله معلقاً عن أَيُّوبَ السَّخْتِيَّانِيِّ قَالَ: «الَّذِي لَهُ فِي
الْفِقْهِ مُعَلِّمٌ وَاحِدٌ كَالرَّجُلِ لَهُ امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ»^(٢).

وقال عبد الله بن الإمام أحمد رحمه الله «سَأَلْتُ أَبِي عَمَّنْ طَلَبَ الْعِلْمَ تَرَى
لَهُ أَنْ يُلْزَمَ رَجُلًا عِنْدَهُ عِلْمٌ فَيَكْتُبَ عَنْهُ أَوْ تَرَى أَنْ يَرْحَلَ إِلَى الْمَوَاضِعِ الَّتِي
فِيهَا الْعِلْمُ فَيَسْمَعُ مِنْهُمْ؟

قَالَ: يَرْحَلَ يَكْتُبُ عَنْ كُلِّ مِنَ الْكُوفِيِّينَ وَالْبَصْرِيِّينَ وَأَهْلِ الْمَدِينَةِ
وَالشَّامِ يَشَامُ النَّاسَ يَسْمَعُ مِنْهُمْ».

والقاضي في «الإلماع» (ص ٢٢٥)، والخطيب في «الجامع» (١٢٥٨، ١٢٧٠)،
والسمعاني في «أدب الإماء والإستملاء» (ص ٦٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق»
«(٢٩/ ١٧٠) من طرق ثلاثة عن ضمرة بن ربيعة الرملي به هو صحيح إلى مطر الوراق
رجاله ثقات.

(١) في «فتح المغيث» (٢/ ٣٤٥).

(٢) «الجامع» لابن عبد البر (٨٥٦).

(٣) كما في «مسائل عبد الله» (١٥٨٨).

وإن كان كثرة المشايخ للمبتدئ تكون أحياناً مضلة أفهام في كثير من الأحيان.

وليحذر طلاب العلم وغيرهم من غيبة العلماء .

فإنها إماتة القلوب، وسُمُّ الأبدانِ وتيه العقول ، وإن القلوب لا تقبل على غيبتهم والتنقيص من قدرهم، إلا لأنها شقيت قبل الإقدام على ذلك، وحتى إن حصل من بعضهم الهفوة أو الذلة، فإنهم من ذوي الهيئات الذين ينبغي الستر عليهم - ما لم يكن بيان أو نصح يفوت.

«فأقبلوا ذوي الهيئات عثراتهم» وهم حاملوا لواء الإيمان - في الجملة - . وقد قال تعالى: « وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنَيطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا » النساء: ٨٣ .

كذا يتبع الشيطان من ابتعد عن الثلة المباركة من أهل العلم والفضل وإن كان لبعضهم أخطاء وزلات مما لم يسلم منها بنو آدم.

قال ﷺ: « إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ أَنْتَزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَاًلًا

فَسِئَلُوا فَأَفْتُوا بغيرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»^(١).

فالعلماء رؤوس الناس على الحقيقة ، فإذا غابوا لابد للناس من رؤساء
فسيخذون رؤساء غير العلماء أي من الجهال ، والنتيجة:

سيفتون بغير علم ، أي بأرائهم المجردة العارية عن الدليل وماذا ؟
يضلون أنفسهم ويضلون غيرهم ممن يسير على آرائهم ، كما قال ﷺ :
« فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » .

فإشاعة المفاصد التي حصلت من العلماء أو إشاعة زلاتهم - على وجه
التنقيص - المشيع لها جاهل - إن أحسنا به الظن - وإلا فسيل المنافقين
الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا .

ولذلك كانت كلمة العلماء منتظمة أن أهل العلم - الذين هم أهل
الخير في الجملة ، إذا حصلت منهم الهفوة أو الزلة لا يجوز إلا الستر عليهم
، وترك سرائرهم لكثرة حسناتهم ، وسابق منزلتهم ، وقرب المغفرة لهم بما
يُقدّمون للناس وينفعونهم به من فقه وعلم ونُصح وإرشاد .
فالعالم حارس للناس ، ومن لا حارس له فضائع ، لذلك كانت غيبة

(١) كما في صحيح البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣) من حديث عبد الله بن عمرو

العلماء كبيرة من أكبر الكبائر ، ولحم العلماء سم قاطع قاتل ، والعادة في متقصيهم معلومة معروفة ، فمن أطلق لسانه فيهم بالسلب بلاه الله بموت القلب .

ومن تنقصهم أو صدَّ عن دعوتهم ، فسيبيله سبيل المخدَّلين المعوَّقين الذين يُطرَدون من صفوف أصحاب الميدان ولو بعد زمن .

فما وجد من يقدح في العلماء ثم يثبت في طلب العلم أو الدعوة إلى الله ، وهذا من عقوبة الله الظاهرة لهم ، أما يوم القيامة فالله يتولى الأمور .

وليُعلم :

أن غيبة الهمج الرِّعاع والجُّهال للناس منبعها إشفاء الغيظ ، والحمية ، والحسد ، وسوء الظن ، وتلك مكشوفة غير خفية .

وأما غيبة أهل العلم للعلماء وأهل الفضل :

فمنبعها من خدعة النَّفس على إبداء النصيحة وتأويل ما لا يصح من الخبر ، ولو صح لم يكن دليلاً على جواز الغيبة لهؤلاء فيقول هذا المتَّبِعُ لفخوخ الشيطان: أترغبون عن ذكر فلان وغيبته ؟ ^(١)

اذكروه بما فيه ليحذرهم الناس ، مع أن المتكلم غير مؤهل للنقد ، بل ربما

(١) وفرَّق بين هذا وبين باب التحذير من أهل الأهواء البدع وإن نُسبوا إلى نوع علم .

الآمر والمأمور من المبطلين !
 وأبى الله أن لا ينجو من خُطوات الشيطان إلا قَلَّة من المؤمنين الذين
 ليس له عليهم سلطان .

وهذا آخر ما تيسر جمعه، وفيه تنبيه على غيره، والله وحده أسأله
 الإخلاص ومتابعة السنة، والعفو والغفران، والجنة، ونعوذ بالله من النار
 والفتن ما ظهر منها وما بطن .

وصل اللهم وسلم وبارك على محمد وآله وأصحابه أجمعين، ونسأله
 أن ينتقم من سبائهم ومن يمدحهم أو يدافع عنهم سائل الله أن يكشف
 سترهم، ويرد ضلالهم عن الناس . والحمد لله أولاً وآخراً .

كتبه

أبو يحيى / محمد بن عبده

بلطيم - كفر الشيخ - مصر

الفهرس

٣	 مقدمة
٩	 منزلة الأدب عظمة في الشريعة
١٠	 حاجة المرء إلى تأديب نفسه
١٧	 قيام النسوة بتأديب الأولاد
١٩	 من تعظيم العلم: احترام أهله
١٩	 أمثلة لمن أدخلوا بتعظيم العلم واحترام أهله
١٩	 وحيد بن عبد السلام البهّات رامي العلماء بالألقاب
٢١	 محمد بن حسان وتزويده للتاريخ وجاعل الأشاعرة أهل سنة
	ومصطفى العدوي وهرعه وانتصابه لرمي أهل العلم المنكرين على حماس
٢١	 تحرّشهم بعدو غاشم لا طاقة لهم به
٢٣	 وأبو إسحاق الحويني وانتقاصه أهل العلم
٢٣	 ومحمد بن حسين يعقوب وعدم نتحريه للعلم
	طريقة تعامل سلف الأمة من الصحابة يابن عباس وابن عمر وجندب بن عبد
٢٥	 الله البجلي وغيرهم فمن بعدهم مع معتنقي آراء الخوارج؟
٢٨	 تعظيم العلم وصوره

- الجد والاجتهاد في طلب العلم وتحصيله وجمعه من تعظيمه ٢٨
- مثال أبي هريرة في ذلك ٢٨
- مثال ابن مسعود في ذلك ٣٠
- مثال جابر بن عبد الله في ذلك ٣٠
- مثال زيد بن ثابت في ذلك ٣١
- أول من اجترأ على أهل العلم في هذه الأمة رأس المنافقين ٣٢
- من تعظيم العلم: التضحية وتحمل المشاق في سبيل تحصيله ما أمكن ٣٧
- ومن تعظيم العلم الاهتمام بتحرير المسائل العلمية والأحاديث والآثار السلفية وأقوال العلماء ٣٩
- ما عظم العلم الشرعي من تكلم في دين الله بغير علم ٤٠
- من احترام وتعظيم العلم، تعظيم أهل العلم وقبول الحق منهم وعدم مجادلتهم، لا سيما من قبل طلابهم ٤٢
- ومن احترام أهل العلم تقديمهم للناس أئمة، وعدم النيل منهم لخطأ بدا منهم ٤٤
- من تعظيم العلم واحترام أهله: سؤالهم عما يعنّ لهم ٤٥

- ليس من احترام أهل العلم السكوت على أخطائهم، وعدم الردّ عليهم،
 ٤٥..... والتنفير من الردود عليهم
 ٤٦..... من تعظيم العلم واحترام أهله هيبة العلماء
 ٥٠..... من تعظيم العلم وإجلال العالم عدم جداله
 ٥٠..... التحذير من النّفرة بين طالب العلم وشيخه
 ٥١..... من احترام العلماء معاونتهم في أمور دينهم ودنياهم - متى أمكن -
 ٥١..... عدم سقوط هيبة العلماء ومنازلهم إذا ما تجرّأ السفهاء عليهم
 من احترام العالم أن يشكر الشيخ على توقيفه على ما فيه فضيلة، وعلى توبيخه له
 على ما فيه نقيصة..... ٥٥
 من احترام العلماء: أن لا يدخل على الشيخ في غير المجلس العام إلا باستئذان
 ٥٧.....

- من احترام العلماء: أنه إذا حضر الطالب إلى مكان الشيخ فلم يجده جالساً
 ٥٧..... انتظره.
 من احترام العالم أن لا يسبق الشيخ إلى شرح مسألة أو جواب سؤال منه أو من
 غيره ولا يساوقه فيه، ولا يظهر معرفته به أو إدراكه له قبل الشيخ..... ٥٨
 من احترام العلماء التلطف في ردّهم إلى الصواب..... ٥٨

ترحم طالب العلم على مصنف الكتاب عند قراءته، وهو من احترام أهل

العلم ٦٢

موقف محترم العلماء إذا استفاد من عالم معلومة ٦٣

صورة من عدم احترام الطالب للعالم ٦٥

صورة من احترام طالب العلم للعالم ٦٧

أثر احترام العلماء على الفرد والمجتمع ٧٠

ازدحام المفاسد عند غياب العالم بحق ٧١

الفرق بين احترام الشيخ وإجلاله وتبجيله وبين التعصب لآرائه ٧٣

تحذير طلاب العلم وغيرهم من غيبة العلماء ٧٦

الفهرس ٨٠